

قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات الأولية
والابتدائية والأولية الراقية والمعلمات

كتاب

الأخلاق للبنات

(تأليف)

محمد حمدي بك

ناظر مدرسة التجارة العليا

و

محمد الجاد خاني

مدير المخازن بوزارة المعارف

« جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين »

« الطبعة السابعة »

سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٦٠٠٠/٢٦/٣٤٢٩

قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات الأولية
والابتدائية والأولية الراقية والمعلمات

كتاب

الأخلاق للبنات

(تأليف)

محمد خير بك

ناظر مدرسة التجارة العليا

و

محمد خير بك

مدير المخازن بوزارة المعارف

« جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين »

« الطبعة السابعة »

سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م



الجنة تحت أقدام الأمهات



يَا سَعَادَاتُ أَحْمَاهِ
وَعَلَى الْفَرْشِ ضَعِيهِ
وَأَخْذِيهِ بِتَأَنٍّ
وَلَهُ سَمَى وَغَنَى

(رفقة ٨٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموفق إلى الفلاح والنجاح ، المعين على سلوك
طريق الإرشاد والإصلاح ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد المرسل بالهداية ، وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والدراية ،
﴿ أما بعد ﴾ فقد حدانا الى تأليف هذا الكتاب
ما نشاهده في مُعْظَمِ الأسرات المصرية من فُشُورِ الأوهام
والخرافات ، مما يرجع سببه إلى قُصور المرأة عندنا وأنها لم
تَسْتَنْزِ بِعَدُ بنور العلم والعرفان . فأضرَّ هذا بأولادها وأثر
تأثيراً سيئاً في تدير منزلها ، فساءت حاله ولم يَعُدْ مُسْتَقَرّاً
للسعادة المنشودة ، وكيف يُرْجَى من بَيْئَةٍ كهذه أن تَنْبُتَ
فيها الأطفال نباتاً حسناً ، حتى يكونوا عماد الأمة ودعائمها
التي يَقامُ عليها بناء المستقبل ؟

سبقت الغربية أختها الشرقية فأصبح البون بينهما
 شاسعاً : فكانت الغربية عاملاً قوياً في تكوين التمدن
 الأوربي الحاضر ، الذي هو ثمرة من ثمرات تربيتها الرشيدة
 لطفلهما وتعهدها إياه منذ المهد ، وفطره على متين الأخلاق
 والعادات ، فهي مربيته الأول وهاديه ومرشده
 الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
 وإن إصلاح حال المرأة المصرية وتقويم اغوجاجها مما
 عني به الباحثون حديثاً ، وقد اتفقت كلمتهم على ضرورة
 تعليمها ، ولكن بين إدراك هذه الغاية على أتم وجوها وبين
 حالتها العقلية الحاضرة زمن ليس باليسير ، جرياً على سنة
 الترقى ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً

فأحببنا أن نتلأ في هذه الصفحات بعض الشر ،
 وأن نستأصل شيئاً مما قرأ في الأذهان من الخرافات
 والخزعبلات ، وأن نذكر بعض المستحسن من آداب
 الآتيان النسوية ، وأردنا أن تنتفع بهذا الكتاب الناشئات
 المصريات لا سيما التاميزات منهن ، فإنهن أقبل للموعظة

وأحرصُ على العمل بها والاهتداء بهديها ، بحكمة ما حصلن
عليه من العلم والتَّهْدِيبِ

وَتَوَخَّيْنَا في العبارة السهولة ، حتى تكون المعاني أسبقَ
إلى الذهن وأُغْلِقَ بالخطاير . ووضعنا الكثير من الموضوعات
في قالبٍ روائِيٍّ خيالي ، تشتاقه النفوس وتصبو إليه ، لما في
طبائع النَّشْءِ من الميل إلى الأَقاصيص ، والإقبال عليها
والعناية بشأنها . والله المسئول أن يحقق في هذا الكتاب
ما نرجوه من النفع وهو حسبنا ونعم الوكيل

(تحريراً بالقاهرة في ربيع الأول سنة ١٣٤١ الموافق نوفمبر سنة ١٩٢٢)



وأحرصُ على العمل بها والاهتداء بهديها ، بحكمة ما حصَلن
عليه من العلم والتَّهْدِيبِ

وَتَوَخَّيْنَا في العبارة السهولة ، حتى تكون المعاني أسبقَ
إلى الذهن وأُغْلِقَ بالخطاير . ووضعنا الكثير من الموضوعات
في قالب روائى خيالى ، تشتاقه النفوس وتصبو إليه ، لما فى
طبائع النَّشْء من الميل إلى الأَقاصيص ، والإقبال عليها
والعناية بشأنها . والله المسئول أن يحقق فى هذا الكتاب
ما نرجوه من النفع وهو حسبنا ونعم الوكيل مـ

(تحريراً بالقاهرة في ربيع الأول سنة ١٣٤١ الموافق نوفمبر سنة ١٩٢٢)



فهرس الكتاب

(١) فى الآداب

رقم الموضوع	صفحة
١	آداب المنزل ١١
٢	» المدرسة ١٢
٣	» السير فى الطرقات ١٥
٤	» الزيارة ١٧
٥	» الرجاء والشكر ٢٠

(ب) فى العادات

٦	مضار التوسع فى الحفلات ٢٣
٧	ضرر التبذير وحكمة التوفير ٢٥
٨	المآثم ٢٨
٩	الزار ٣٢
١٠	زيارة المقابر ٣٣
١١	زيارة الأضرحة ٣٦
١٢	الحجب والتمائم ٣٨
١٣	قياس الأثر ٤١
١٤	مضار تخويف الأطفال ٤٥
١٥	دناء الأم على أولادها ٤٧

رقم	الموضوع	صفحة
١٦	الأختان	٤٩
١٧	السعادة المنزلية	٥٣
١٨	الاستقلال المنزلى	٥٥
١٩	الجنة تحت أقدام الأمهات	٥٨

(ج) فى الحكايات

٢٠	العبرة بالأدب	٦١
٢١	مصاحبة غير النظراء	٦٢
٢٢	الريبة وسوء الظن	٦٥
٢٣	صداقة الحيوان	٦٧
٢٤	الرفق بالحيوان	٧٠
٢٥	مكسب شريف	٧٣
٢٦	الفتاة الفلاحة	٧٧
٢٧	لا تحكى بالظواهر	٨١
٢٨	حذار من الطيش والنزق	٨٥

(د) فى الأناشيد

٢٩	أنشودة طفل عند نومه	٨٩
٣٠	نشيد الصباح	٩٠
٣١	الحنان والأمل	٩١
٣٢	فى العجلة الندامة وفى التأنى السلامة	٩٣
٣٣	إن كان الكلام من الفضة فالسكوت من الذهب	٩٤

(٥) في تراجم بعض مشهورات النساء (الشرقيات)

رقم	الموضوع	صفحة
٣٤	بلفيس ملكة سبأ	٩٦
٣٥	آسية امرأة فرعون	٩٩
٣٦	نماضر الشهيرة بالخنساء	١٠١
٣٧	السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٥
٣٨	» عائشة بنت أبي بكر	١٠٧
٣٩	» فاطمة النبوية بنت الحسين بن علي	١٠٩
٤٠	» زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه	١١١
٤١	» سكينة بنت الحسين بن علي	١١٣
٤٢	» نفيسة بنت الحسين بن علي	١١٥
٤٣	ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي	١١٦
٤٤	شجرة الدر	١١٩

(الغربيات)

٤٥	اليصابات ملكة إنجلترا	١٢٢
٤٦	الملكة فكتوريا	١٢٥
٤٧	جريس دارلانج	١٢٨
٤٨	لورا سيكورد	١٣٤
٤٩	لينا	١٤٠
٥٠	فلورنس نايتنجيل	١٤٤

في الآداب

﴿ آداب المنزل ﴾

« لبيبة » فتاةٌ تَبَاغُ من العمر عَشْرَ سنين ، ولها من الأخلاق الفاضلة ما يَصِحُّ أن تكون به مثلاً حسناً لصاحباتها ، حتى بعض الكبيرات منهن ، فهي لا يفوتها مثلاً أن تُقْبِلَ يَدَيَّ والدها ووالدتها في الصباح وفي المساء قبل أن تنام وهي تُطيعهما طاعة تامة ، وتقول لأخيها الصغير إذا خالف أو شذَّ : إن والدتي أدرى بالصالح لنا ، فتجب علينا طاعتها . وأما محبتها لإخوتها فظاهرة من قيامها بما يمكنها من خدمتهم ، عن رضا وطيب خاطر . فكلهم يحبها لأنها هادئة دُمثة الأخلاق ، بعيدة عن كل ما يُشتمُّ منه عنادٌ أو خُبث : فلا يُسمع لها صياح أو صُراخ ، لأنها تستحي أن يسمع صوتها الجيران أو الخدم ، بل تتخجل أن تظهر بمظهر المَرَج والهياج كما يفعل بعض البنات ، وإذا لعبت

فإنها تلعب بما يفيدها ويزيد نشاطها ، محافظة على نظافة بدن
وثيابها. ثم إنها تراعى دائما راحة من المنزل : فإن كان أبوها
يشتغل في مكتبه ، أو أخوها يستذكر دروسه ، أو كانت
أمها نائمة ، حاذرت أن يقع منها ما يوجب الاتزعاج والتهوؤش.
ومن جميل صفاتها أيضا أنها لا تنسى أبدا الاستئذان
لدى دخول الغرف الخصوصية ، فتقرع الباب بأعلى أصبعيها ،
وتنتظر حتى يؤذن لها ، وإلا رجعت . فعلى البنات العاقلات
أن يتخذن « لبية » قدوة لهن ، وتحلن بجميل صفاتها ،
وحمد أخلاقها

﴿ آداب المدرسة ﴾

« فائقة » تلميذة نجبية ، من أحسن تلميذات المدارس
المصرية ، وإن اسمها في الحقيقة لعلى مسمى : فما تأخرت عن
الميعاد يوما ، ولا انقطعت عن المدرسة بدون عذر مانع .
ومن عاداتها أن تستيقظ في الصباح ، في وقت يمكنها دائما



« فائقة » في الدّرسِ مِثالِ الجِدِّ والالتفات

من التَّوَجُّه قبل الميعاد ، مع الراحة والاطمئنان . فإذا وصلت إلى المدرسة ، أخذت تُحَيِّي رفيقاتها بِسَاشَةِ ولطف . فإذا دخلت المكتب ، جلست مكانها منتظرة معلمتها ، حتى إذا جاءت المعلمة قامت احتراماً لها وتعظيماً لشأنها . وهي في أثناء الدرس مثال الجِدِّ والعمل والالتفات : فلا تُكلم جارتها ، لأنها تعلم أن في ذلك تهويشاً ، وإضاعة لما تُلقِيه معلمتها من الفوائد ، فإذا سئلت ، تنهضُ قائمةً ، ثم تُفَكِّرُ ثم تجيب ، أو تقول لا أعرف ، إن لم توفق للصواب . وإن أرادت أن تسأل سؤالاً تريثت ، حتى تفرغ المعلمة مما تقول ، فلا تقاطعها ، ثم ترفع يدها حتى يؤذن لها في الكلام . فإذا قرع الجرس المؤذن بانتهاء الدرس ، وقفت مكانها منتظرة إذن المعلمة بالانصراف . وفي ذلك من إظهار احترام الدرس والمدرسة ما لا يخفى . ولا يفوتها ، وقت الرياضة واللعب ألا تُجهد نفسها بالجري العنيف ، حتى لا تكون في الدرس التالي متعبة . أما منظرها فكان دائماً مثال النظافة ، ولا شائبة في ملابسها ولا بقع . وشعرها مُرَجَّل وأظافرهما مقامة

نظيفة ، وكتبها وأدواتها تنطقُ بمقدار عنايتها بها ، حتى إنك
تكاد لا ترى في دفتر أو كتاب أثراً من تلويثٍ بحبر أو
غيره ، أو تمزيق أو إهمال

فمن ذلك كله ترى « فائقة » حقيقة قد فاقت قريناتها
في الأدب والكمال ، وحب النظام والتعلم

﴿ آداب السَّير في الطُّرُقَات ﴾

الفتاة المَهْدَبَة هي التي إذا خرجت من منزلها ، وسارت
في الطريق ، حفَّها الأدب والوقار ، وَعَلَّتْهَا الهَيْبَة والكمال :
فلا تلتفتُ إلا للضرورة ، ولا تنظر إلى وجوه المارة ، فقد
قال الله تعالى « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ »
ولا تُجيب مَنْ يكلمها في الطريق إلا أقاربها الأذنين ، إذا
اقتضت الحال ذلك . ومن الأدب والحياء أن السيدات
إذا كنَّ جماعةً في الطريق مشينَّ ساكتاتٍ ، فإذا تكلمن
وجب ألا يكون أمام المارة ، بل بعيداً عنهن ، بحيث يكون
الحديث هَمْسًا . والفتاة المَهْدَبَة مَنْ إذا سارت في الطريق



آداب السَّير في الطرقات

لَا تَبْدِ مِنْ زِينَتِهَا شَيْئًا : فَلَا تَظْهَرِ الْمَلَابِسَ وَلَا الْحُلِيَ أَوْ
الشعر ، عملاً بقوله تعالى وهو أصدق القائلين « وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » ولقوله جل شأنه « وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ » كما يجب أن تكون
الملاءة واسعة رحبة سابعة ، وألا يكون البرقع شفافاً ،
يُتَمُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوَجْهِ أَوِ الْعُنُقِ أَوِ الصَّدْرِ ، عملاً بقوله
تعالى « وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » وخروج النساء
مُتَعَطِّراتٍ مُحَرَّمٌ شَرْعاً

فهذا هو أدب الدين ، الذي جعله الله سياجاً للحياء ،
وقواماً للعفاف . وهو ينطبق على روح العمران وقوانين
التَّمدُّنِ ، وما عداه ضلال مبين ، هدايا الله الى صراطه
المستقيم

﴿ آداب الزيارة ﴾

وداد — قومي يا أمي نخرج لنزور بعض صاحبائنا ،
حتى نَفَرَّجَ عَنْ أَنْفُسِنَا لِأَنِّي لَسْتُ مُنْشَرَحَةً

الاخلاق م - ٢

الأم — وكيف نخرجُ الآن والساعةُ التاسعةُ صباحاً ،
وأمامنا أعمالٌ كثيرةٌ لم تُنجزْ بعدُ في البيت ؟ فاعلمى أن من
أكبر عيوب السيدات أن يخرجن ويتركن منازلهنَّ معطلةً
وداد — بالله قومي نخرج ، وها هي الخادمة تعمل
كل شيء

الأم — إني إذا خرجت الآن لا يرتاحُ بالي : لأنني
لم أعود أن أترك الخادمة في بيتي تتصرف فيه كيف تشاء ،
بل لا بد أن أشرف على عملها جميعه ، وأعمل معها ما يصح
لي أن أبشره ، حتى أكون قدوةً لها في الإحسان ، فلا
يتطرق إليها الإهمال والكسل

وداد — إذن أذهب أنا وحدى إلى بيت جارتنا ،
فأتحدث مع ابنتها نحو ساعة حتى تنتهي من عملك

الأم — كنت أحب أن أسمع منك كلاماً غير
هذا . فيجب أن تبقى معي لتساعديني على أداء الواجبات
المنزلية . واعتقدى ياوداد أن العمل يشرح الصدر ، ويزيل
الهم ، وما أنت فيه من الاتقباض إنما هو نتيجة الكسل ،

والدَّعةِ والسكون ، والإخلاق إلى الراحة
وداد — لا بأس ، فأنا أمكث معك وأساعدك ،
بشرط أن نخرج وقتَ العصر

الأم — لكِ ذلك ، وإنَّ هذه لفكرةٌ جميلة ، لأنَّكِ
إذا ذهبتِ إلى جارتنا الآن تجدِنيها مع ابنتها في شغلٍ شاغلٍ
عنكِ : ترتَّبُ البيت ، وتُعِدُّ الطعام أو تحيِّطُ الملابس ، إلى
غير ذلك من تدبير المنزل ، وكذا الحالُ في كلِّ أسرة ، فيكون
وجودُكِ بين السيداتِ مُعطلاً ومُضيعاً لوقتهن النفيس . أمَّا
وقتُ العصر ، وقد انتهت كلُّ من عملها ، فلا بأس بالتزاور .
وإذا دخلنا منزلاً يا وداد ، وجاءت السيدات يُحِبِّنَّنا ،
فصافِهينَّ باليد وقابليهنَّ بالابتسام اللائق . قال الله تعالى
« وإذا حيَّيتُمْ بتحيةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها أو ردُّوها إن الله كان
على كلِّ شيءٍ حسيباً » ولا تدخلِي في حديثٍ يكون من شأنه
الاغتيابُ والفخر ، فإنَّ مُعظَمَ مجالس النساء مشحونةٌ بهما .
فما أقبح أن تتحدثِ السيدة بما عندها من خدام وحشم ، أو
تفخرَ بأثمان ملابسها وحليها !

وداد — لقد آلمتني يا أمي تلك المرأة التي قابلناها في

منزل جارتنا في الأسبوع الماضي ، وأخذت تنتقد ملابسى
وتُظهرُ عيوبها

الأم — نعم وكنتُ أنا متألّمةً أيضاً ، فلا انتقاد على
هذا الوجه معيبٌ مذموم ، إذ كلُّ إنسانٍ وحالته المالية ، أمّا
الزّرى (المودة) فتابع للذوق ، فلا عتاب ولا لوم
يجب يا وداد أن يكون حديثُ الزياراتِ حلواً فكاهياً
لا يتناول الغيبةَ ولا السُّخريّةَ ، فقد قال الله تعالى « يا أيها
الذين آمنوا لا يَسْخَرُوا قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عسى أن يكونوا خيراً
منهم ولا نساءٌ مِنْ نساءٍ عسى أن يَكُنَّ خيراً مِنْهُنَّ » ، وقد
قال تعالى « ولا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ »

— أَرْجوكِ وَأَشْكُرُكِ —

ما أحلى الوئام والائتلاف : فهما أساسُ الاجتماعِ
والعُمرانِ ، وعليهما مدارُ نجاحِ الأعمالِ . ولولا مُبادلةُ الناسِ

بعضهم بعضاً الودَّ والصدّاقة ، لما اجتمعت تلميذات المدرسة مثلاً فى صعيد واحد يلعبن ويأكلن ويتعلمن معاً . فهما من ضروريات هذه الحياة الدنيا ، ولولاها لكان الناس أشبه بالحيوانات المفترسة منهم بنى الإنسان . قال تعالى فى كتابه العزيز ، مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفّضوا من حولك » . ومن أهم الأسباب فى غرس الود والصدّاقة ، التلطف فى القول مع الناس ، لا فرق بين كبير وصغير ، وغنى وفقير : فإذا طلبت شيئاً من أحد فاطلبه برفق وقولى « أرجوك » أو « من فضلك » ، سواء أكنت مخاطبة أمّك أم أختك أم غيرهما ، ولو كنت أرفع من المخاطب مقاماً وأعزّ جاهاً . فإذا أجيب طلبك ، فقولى « أشكرك » فإن الشكر حقّ عليك لمن يسدّ إليك معروفاً

ولمّا كان هذان اللفظان (أرجوك وأشكرك) من الألفاظ التى تنمّ على أدب الشخص فى معاملاته ، أصبحا شائعين شيوخاً عظيماً جداً بين الأمم المتمدّنة : فيُسَمَّعانِ فى عربات الترام والقطارات ، والمخازن العمومية ، والمصالح ،

والمطاعم ، والملاهي ، حتى صار النطقُ بهما عادةً من عادات
الناس ، حتى الطفل الصغير تسمعيته يقول لأمه عندما يطلب
أىَّ شيء : أرجوكِ ، ثم يقول : أشكرك . فعلى الفتيات أن
يتحلين بهذا الأدب في جميع معاملتهن ، فإن في تعود
حسن الخطاب ، والشكر على المعروف ، حلية الأخلاق
وزينتها



في العادات

﴿ مزار التوسّع في الحفلات ﴾

ملكة — ما قولك يا أختي في هذه الحفلة البديعة .
وما جمعت من أسباب السرور والانشراح ؟ ألا توافقينني على
كونها أجمل حفلة عرس حضرناها في حياتنا ؟
عزيزة — نعم هي حفلةٌ بديعة ، ولكنني أرى أن في
إقامة الأفراح شيئاً كثيراً من الإسراف ، أليس من الصواب
ادخارُ هذا المال الكثير ، لينفع الزوجين وأولادهما
في المستقبل ؟

ملكة — إنني لا أرى ما ترين : انظري إلى هذه
الأنوار المتلاثلة والأعلام المنشورة ، وما حولها من طاقات
الرياحين ، وهذه نغمات الموسيقى تزيد بهجة الاحتفال ،
والمدعوات يرفلن في أجمل حلل البهاء ، متبخترات ، تنظر

كل إلى الأخرى متعجبة بملابسها الجميلة ، هذا إلى ما هنالك
من حلي وجواهر كريمة ، ولا تنسى الأطعمة اللذيذة والمتعة
بالسمر إلى ما بعد منتصف الليل : هذا متاع الحياة الدنيا ،
فكيف تريد أن تحرمه ؟

عزيزة — عجباً ! إنك تنظرين للموضوع من جهة وأنا
أنظر إليه من جهة أخرى : إنما أعني الإسراف والتبذير ،
وإنفاق المال في غير موضعه ووجهته المشروعة ، فهذا
ما أعارض عليه . وإني أمقت أيضاً الاستدانة للتوسع في
إحياء الليالي الساهرة ، حتى إذا أصبح الصباح حل الهم من
النفس محل الانشراح والأنس ، ووجد صاحب الدعوة نفسه
وقد بهظه الدين وتملكه الندم على إفراطه وسوء تديره ،
ولات ساعة مندم . هذا عدا ما تعطيه المدعوآت المغنيات
والراقصات من الهبات ، مما يُعتبر ديناً على العروس وأهلها .
فإذا أقامت إحدى المدعوآت محتفلاً من هذا القبيل ، ولم
تذهب العروس وأهلها لرد الجميل ، اعتبر ذلك عملاً شائناً ،
كل هذه عادات غير محمودة ، وقد آن الأوان أن نُقلع عنها
خالهما — يظهر أنكما تتناقشان في أمر مهم كما هو

شأنكما ، فهل وصلتما الى مسألة غامضة ؟

ملكة — اننا يا خالتي نبحث في عادة الأفراح ، والشئ بالشئ ، يذكر . فأختي تعترض على ذلك ، وتبغى أن نحرم هذا المتاع الجميل ، دفعاً للإسراف ، وما ينشأ عنه من الديون خالتهما — لقد أصبت يا عزيزة المرءى . ولو بذل كل ماله فيما ينفع لأصبحت الأمة في يسر ورخاء ، ولما وقع كثير من الناس في شرك الإفلاس . فيجب أن يسير كل على حسب طاقته ، وما أصدق المثل القائل « على قدر لحافك مدّ رجلك » والتقليد الأعمى مضر جداً ، فلا بأس بالاحتفال للعرس مع التوسط والاعتدال ، وخير الأمور الواسط

❦ ضرر التبذير وحكمة التوفير ❦

السيدة فريدة — ما أنجل هذا الثوب الذى تلبسينه !
فإنه يجمع الى الرشاقة سلامة الذوق : فمن أين اشتريت

نسيجه ومن هي الخائطة التي خاطته لك ؟

السيدة عائشة — أمّا النسيج فقد اشتراه لى زوجى
بعد أن رأيت نموذجا منه ، وأمّا التفصيل والخياطة فقد
مّنت بهما بنفسى كما هى عادتى : لجميع ملابسى إلا قليلا
وكذا ملابس زوجى من القمصان والجلابيب والزيوق
أخطها بنفسى

السيدة فريدة — ولكن هل تجدىن عندك من الوقت
والصبر متسعاً لكل هذا ؟

السيدة عائشة — نعم إن هذا العمل أوديه فى أوقات
الفراغ حذر الكسل ، وفراراً من السآمة والملل . وزوجى
لا يحب من الملابس إلا ما أصنعه بىدى . وإننا نفتخر بذلك
السيدة فريدة — أرى أن هذا ليس من شأن
السيدات الرفيعات أمثالنا ، بل هو من عمل الفقيرات ،
لأنهن لا يقدرن على دفع أجور الخائطات ، أما نحن فلنا
من يسرنا غنية

السيدة عائشة — قلت لك يا أختى إننى أقوم بهذا
العمل ترؤيحا عن النفس ، فلا أجد فيه مشقة البتة . وإننى

لا أخطئ الثوب في يوم واحد ولا في ساعة واحدة ، بل في ساعات متفرقة كلما وجدت الفرصة سانحة . نعم عندنا المال الكافي كما تقولين ، ولكن من يعلم ما يخبئه الدهر ؟ فلو جب ألا تنفق كل إيرادنا بل ندخر منه جزءا نتقى به ضواري الزمان ، وطوارق الحداث : ألا ترين كيف تسمى اللملة في الصيف لخزن ماتتات به في الشتاء ؟ فإذا كان هذا هو حال تلك الحشرة الحقيمة ، فما أجدر الإنسان ، الذي شرفه الله على سائر مخلوقاته بالعقل والفكر أن يتبصر في العواقب ! قال تعالى « إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » السيدة فريدة — إذاً من رأيك التقدير ، وتقليل أبواب الإنفاق : فلا ضرورة للخدم ، ولا للطعام الشهي ، ولا للملابس الجميلة ، ولا للسكنى في الجهات الصحية وهكذا السيدة عائشة — لقد أخطأت فهم غرضي : فإن الاقتصاد ليس بمعناه التقدير ، بل ادخار جزء من دخل الإنسان لينفقه وقت الضرورة . فالغنى الذي يبلغ دخله في الشهر ألف جنيه ، يمكنه أن يدخر منها مائتي جنيه مثلا . والفقر الذي يكسب في اليوم عشرة قروش ، قد يقتصد منها

قرشين، ويُنْفَقُ الثمانية على نفسه وعياله، وهكذا. ولما كان
الاقتصاد من ضروريات الحياة، وكان كثير من الناس
لا يعرف كيف يَحْتَفِظُ بما يدَّخره من مكسبه، أنشأت
الحكومةُ صناديقَ التوفير بمكاتب البريد، وعممتْها في جميع
بُلدان القطر المصري، ليسهل على الناس إيداع أموالهم فيها،
حتى إذا اضْطُرُّوا يوماً لجأوا إليها ولتعويد الصغار التوفير،
وغرس ملكة الاقتصاد فيهم، بادرت وزارة المعارف إلى
إدخال نفس هذه الطريقة في المدارس، حيثُ يَشُبُّ الولد
والبنتُ على حُب الاقتصاد من الصغر

السيدة فريدة — لقد قلت حقاً ونثرت دُرراً غالية،
عَهْدُ نَاكِ فِي الصَّغَرِ فَتَاةٌ اِمْتَاَزَتْ بِالْأَدَبِ، وَرَأْيُنَاكِ فِي الْكِبَرِ
سَيِّدَةٌ مَدْبِرَةٌ عَاقِلَةٌ حَازِمَةٌ. حَفَظَكَ اللهُ وَرَعَاكَ بِعَيْنِ عَنَايَتِهِ

﴿ الْمَاتَم ﴾

ذهبت الأنسة عديلة لزيارة شقيقتها السيدة عائشة،

فراثها موعوكة ، مُصْفَرَّةَ الوجهِ محمرة العينين . ودَلَّ تشاؤمها
على ما بها من كَسَلٍ وَتَعَبٍ . فسألتها قائلة :

الآنسة عديلة — مالى أراكِ كمن أصابه برْدٌ أو زُكام
السيدة عائشة — دام سَهْرِي طولَ ليلةِ أمس ، فما قرَّ

لى جنَّب

الآنسة عديلة — ولماذا ؟

السيدة عائشة — تُوِّفَى ابنُ جارتنا قبيلَ الغروب ،
فملأت الدنيا صياحاً وعويلاً ، فصارت تصرُخ وتلطمُ وجهها ،
ولقرب منزلها من منزلنا كان يرنُّ في بيتنا صدى اللطم
والصراخ ، فلم أُنم ساعةً واحدة من الليل كله
الآنسة عديلة — مسكينة هذه المرأة ! ما أصعبَ

الفراق ! حقاً إنها لمعدورة فيما فعلت

السيدة عائشة — حقيقة هي مسكينة ، وتستحق الإشفاق ،
ولكن لا ينبغي لها أن تُقلِقَ راحة الجيران هكذا ، إذ لها
أن تحزنَ وتبكي ، وليس لها أن تفعل فعل المجانين . فلولِ
المصائب يُظهر الفرق بين المرأتين ، المرَبَّاةِ والجاهلة : إذ
الأولى تستعين بالصبر والجلد ، وتجتهد في تسكين آلامها

وأحزانها ، ولا تَسْتَسْلِمُ إلى البكاء والنحيب ، عملاً بقوله تعالى « وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » . أما الثانية فعند حلول المصاب تفقد رُشدَها ، وَيَضِيعُ صوابُها ، فيشتد هياجُها ، وتصير كالغريق ، لا يدري الخلاص مما دَهاه

الآنسة عديلة — صحيح ما تقولين ، لكن أظن أن جارتك خفَّ حزنُها نوعاً ما في الغداة ، عند حضور أهلها وصاحباتها ، لتعزيتها في مصابها الأليم

السيدة عائشة — كان الأمر على عكس ما تظنين : لأنهن زدن اللهب اشتعالاً ، والحزن شدة ، كمن أراد أن يُطفىء نارا فأصب عليها زيتاً . حين دخلن المنزل ، ارتفع صوتهن بالصراخ كمن أُصيب بالصرع ، وولّوْن بعبارات تُثير الحزن من مكمنه ، وتبعث الوجد من أعماق القلوب .

وهذا ما يسمينه بالعزاء ، فما أشنعهُ مِنْ عَزاء ؟

الآنسة عديلة — أكان للمثوَفِي جَمَازَةٌ مُوقَرَّةٌ ؟

السيدة عائشة — كانت على ما يناسب جهاهم ، لأن

أُمُّهُ أَبَتْ إِلَّا أَنْ يُؤْتَى بِمَوْسِقَى ، تَعَزَّفُ أَمَامَهُ بِالْحُلَّانِ مُحْزَنَةً ،
وَجُنْدٍ يَمْشُونَ أَمَامَ النِّعَشِ ، عَلَيَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جُنْدِيًّا وَلَا ضَابِطًا ،
وَمَا كَانَ إِلَّا تَاجِرًا مَتَوَسِّطَ الْحَالِ ، ثُمَّ جِيءَ بِحِمْلَةٍ الْقِمَاقِمِ
وَالْمُبَاخِرِ ، وَسَارَ فِي مَقَدِّمَةِ الْجَنَازَةِ فِتَّةٌ مِنَ الرَّعَاعِ الْقَذَرِيِّينَ
يُنْشِدُونَ أَلْفَاظًا غَيْرَ مَفْهُومَةٍ ، وَفِي مُؤَخَّرَتِهَا نِسْوَةٌ مُلَطَّخَاتِ
الْوُجُوهِ وَالْأَيْدِي بِالطَّيْنِ وَ«النَّيْلَةِ» ، صَائِحَاتٍ نَائِحَاتٍ مُوَلِّوَلَاتِ
مُعْوَلَاتِ ، يُزَعِّجْنَ الْمَارَّةَ وَيَقْبِضْنَ النُّفُوسَ بِمَنْظَرِهِنَّ الشَّنِيعِ
الْآنَسَةِ عَدِيلَةٍ — إِنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتُ قَدْ أَبْطَلَهُ الْعُقْلَاءُ ،
وَلَا يَأْتِيهِ الْيَوْمَ إِلَّا الْجَهْلَةُ وَالْغَوْغَاءُ مِنَ الْأُمَّةِ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ
فِي طَرِيقِي مِنْذُ يَوْمَيْنِ جَنَازَةً فِي غَايَةِ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ : هِيَ نَعَشٌ
يَتَّبِعُهُ الْمُشَيِّعُونَ أَفْوَاجًا ، سَائِرِينَ صَامِتِينَ ، مُطَّرِقِينَ كَأَنَّ
عَلَى رُؤُسِهِمُ الطَّيْرَ . فَيَالَيْتَ كُلَّ النَّاسِ يَحْذُونُ حَذْوَهُمْ : إِذِ
الْغَرَضُ مِنْ تَشْيِيعِ الْجَنَازَةِ الْإِعْتِبَارُ بِالْمَوْتِ وَالذِّكْرَى ، حَتَّى
تَخْشَعَ الْقُلُوبُ ، وَتَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غِيَّهَا ، وَتَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا
عَرَضٌ زَائِلٌ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

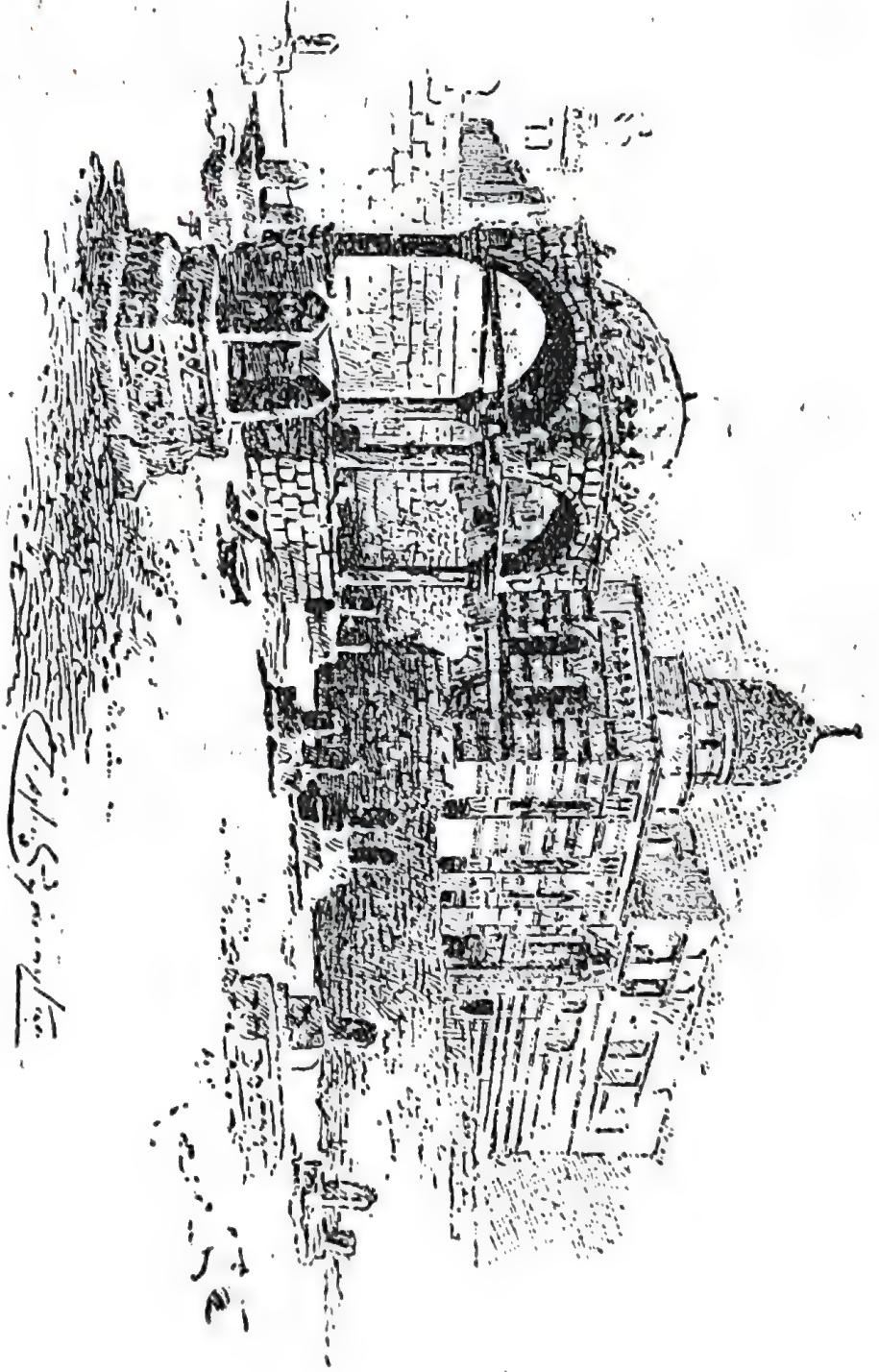
﴿ الزار ﴾

ثلاثة تشقى بها الدارُ العُرس والماتم والزَّارُ
السيدة التي تفكر في الزار وتهتم بشأنه ، وتعقده
المُحتَفلات ، بعيدة عن التعقُّل والرُّشد ، محقَّرة عند الرجال
العقلاء ، منتقدة عند السيدات المَهذَّبات . فما أخرجها أن
يذكر اسمها مَقْرُونًا بهذه العادة الذميمة ! وإنَّ السيدة
الكريمة العاقلة لا يصح أن تشتريَ بالمال الكثير أنواعَ
المَصُونات تخزُّنها لوقت الاحتفال السنوى ، وتحفظ بها
في صندوق مُغلق ، لعلها أن لا قيمة لها إلا في ذلك اليوم
المَمْقُوت . وما كان أجدرَها أن تشتري شيئًا مفيدًا أو حليًّا
نافعًا ! والذي يزيد هول المصائب ، ما ينفق لإعداد المأكَل
والمَشْرَب والذبائح لجماعات المدعوَّات . فهل يليق بسيداتٍ
يَحْتَرمن أنفسهن ويَحْشَيْنَ الله ، أن يَعْقِدن أمثال هذه
المحتَفلات التي يخرجن فيها عن سياج الوَقار والكرامة ؟

أَلَا إِنَّ الزَّارِ يُرْعِجُ الْجِيرَانَ لَيْلًا وَنَهَارًا بِطَبْلِ نَعُودٍ بِاللَّهِ مِنْ
صَدَّاهُ : فَهُوَ يَصْنَعُ الْقُلُوبَ ، وَيَقْرَعُ الْأَذَانَ ، وَيُؤْذِي
الْأَعْصَابَ السَّليمةَ ، يَصْحَبُهُ تَرْنِيمُ قَبِيحٍ مَمْقُوتٍ ، يَمَلَأُ
الْقُلُوبَ الْمُطْمَئِنَّةَ فَزَعًا وَوَجَلًا . أَلَا تَرَى هَذِهِ الْجَاهِلَةَ أَنْ
الْأَسْرَاتِ مِنْ حَوْلِهَا يَطْلُبُونَ الرَّاحَةَ فِي سَكُونِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
وَهِيَ تَحْرِمُهُمْ إِيَّاهَا بِأَقْبَحِ الْوَسَائِلِ ، وَأَكْرَهِ الْمُنْفَرَاتِ لِمَا
يَجْلِبُهُ مِنَ الضَّرَرِ ، وَمَا يَسْتَدْعِيهِ مِنَ التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ ؟
فَمَا هُوَ إِلَّا شَرَكٌ يُنْصَبُ لِسَلْبِ الْأَمْوَالِ ، وَوَسِيلَةٌ مِنْ
وَسَائِلِ فُسَادِ الْأَخْلَاقِ . وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِعَصَبِيَّاتِ الْمِزَاجِ مِنْ
تَبْدِيلِ الْهُوَاءِ وَالْإِسْتِرَاضَةِ . وَيُسْتَشَارُ الطَّيِّبُ إِذَا دَعَتْ الْحَالُ

❦ زيارة المقابر ❦

من العادات الذميمة عند نساء مصر ، تَرْدُّهُنَّ عَلَى
المقابر والاهتمامُ بها : فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا مَاتَ طِفْلُهَا أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ
أُسْرَتِهَا ، لَا تَنْسَى أَنْ تَتَوَجَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ إِلَى مَدْفَنِ



بیت المقدس و بیت المقدس

زیارة القبر لیست مستنونة إلا للاختیار و ذکر الموت

الفقيد ، مُصْطَاحِبَةً بَعْضَ قَرِيْبَاتِهَا أَوْ جَارَاتِهَا ، حَامِلَةً الْكَثِيرَ
 مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ ، لِتَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى مَنْ يَطُوفُونَ بِالْمَدَافِنِ
 وَالْجَبَابَاتِ مِنَ الشَّحَّاذِينَ ، مَعَ أَنَّ مَعْظَمَ هَؤُلَاءِ النَّسْوَةِ أَحَقُّ
 بِمَا يُنْفِقُنَهُ فِي عَمَلِ الْفَطِيرِ وَالْكَعْكَ وَشِرَاءِ الْفَاكَةِ وَغَيْرِهَا
 مِنْ شَحَّاذِي الْمَقَابِرِ . هَذَا إِلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُحِلًّا لِلصَّدَقَةِ ، وَلَا
 أَهْلًا لِلْإِحْسَانِ ، لِأَتَخَذَهُمُ الشَّحَّاذِ حِرْفَةً وَذَرِيعَةً لِلْكَسْبِ ،
 لَا لِسَدِّ الرَّمَقِ . فَمَا أَسْخَفَ مَا تَعْمَلُهُ النِّسَاءُ الْجَاهِلَاتُ مِنْ
 الْبَذْهَابِ أَيَّامِ الْجُمُعِ وَالْمَوَاسِمِ وَالْأَعْيَادِ ، جَمَاعَاتٍ وَزَرَافَاتٍ ،
 يَتَعَثَّرْنَ فِي أَذْيَالِهِنَّ إِلَى الْمَقَابِرِ ، كَأَنَّهُنَّ ذَاهِبَاتٌ لَجَلْبِ خَيْرٍ
 أَوْ جَرِّ مَغْنَمٍ . فَمَا أَقْبَحُهَا مِنْ عَادَةٍ مُسْتَهْجَنَةٍ ، لَيْسَ فِيهَا مِنْ
 فَائِدَةٍ لِلْمَيِّتِ تَعَوُّدٌ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْآخِرَوِيَّةِ !

عَلَى أَنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ لَيْسَتْ مَسْنُونَةً إِلَّا لِلْإِعْتِبَارِ
 وَذِكْرِ الْمَوْتِ ، فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

❖ زيارة الأضرحة ❖

عائشة — إنيك يا فردوس لم تكوني في المنزل صبيحة
أمس ، لأنني ذهبت لزيارتك فلم أجِدْكِ ، فأين كنت
يا صديقتي ؟

فردوس — كنت قد خرجت مع جدتي لزيارة السيدة
زينب كما هي عاداتها : فهي تزور السيدة في يوم الأحد ،
وسيدتنا الحسين في يوم الثلاثاء ، والمحمدي في يوم الخميس ،
ولما كنت مريضة في الشهر الماضي ، نذرت للسيدة حُرْمة
شمع ونصف ريال للصندوق إذا أنا شفيت من مرضي ، وها
قد تم لي ذلك فذهبنا لوفاء النذر

عائشة — وما فائدة هذه الزيارات للأولياء ؟

فردوس — تقول جدتي : إن هؤلاء هم أهل الخطوة ،
وإن رضاهم عنا ينفعنا في الدنيا والآخرة . ولذا فهي تتردد على
أضرحتهم وتقبل عتباتهم وسياج قبورهم ، وتتوسل بهم

❦ زيارة الأضرحة ❦

عائشة - إنك يا فردوس لم تكوني في المنزل صبيحة
أمس ، لأنني ذهبت لزيارتك فلم أجِدْكِ ، فأين كنت
يا صديقتي ؟

فردوس - كنت قد خرجت مع جدتي لزيارة السيدة
زينب كما هي عاداتها : فهي تزور السيدة في يوم الأحد ،
وسيدتنا الحسين في يوم الثلاثاء ، والمحمدى في يوم الخميس ،
ولما كنت مريضة في الشهر الماضي ، نذرت للسيدة حُرْمَةً
شمع ونصف ريال للصندوق إذا أنا شفيت من مرضي ، وها
قد تم لي ذلك فذهبنا لإوفاء النذر

عائشة - وما فائدة هذه الزيارات للأولياء ؟

فردوس - تقول جدتي : إن هؤلاء هم أهل الخطوة ،
وإن رضاهم عنا ينفعنا في الدنيا والآخرة . ولذا فهي تتردد على
أضرحتهم وتقبل عتباتهم وسياب قبورهم ، وتتوسل بهم .

لقضاء حاجاتها ، وتقريج همومها ، وإبعاد المصائب والأمراض عنها
عائشة — إن هذا يا أختي لَضَلال مبین : فإن الذى
يَقْضِي الحاجاتِ ، وَيُفَرِّجُ الهمومَ ، وَيُبْعِدُ المصائبَ وَيَشْفِي
الأمراضَ ، هو الله جلَّ شأنه ، لا شريك له فى ملكه ، ولا
يصح أن نعتقد غير ذلك . وتقبيلُ الحجارة والعُمُدِ ، وكذا
التَّيْمُنُ بالنحاس المصنوع منه السياج ، والصَّياح بطلب قضاء
الحاجات من صاحب الضريح ، كل أولئك من الإِشْرَاق بالله .
فردوس — إذا أنتِ تعتقدين أن هؤلاء الأولياء
كعامَّةِ الناس لا يمتازون عنهم بشيء !

عائشة — لا يا صديقتي : فإنهم يمتازون بصلاحهم
وتقواهم وموَّافاتهم الجليلة النافعة ، ونصائحهم وإرشادهم
فاحترامنا لهؤلاء الأولياء هو باتِّباع نصائحهم الدينية
والأدبية ، والاسترشاد بآرائهم السَّديدة وعِظاتهم البالغة
لا غير ، ولو عاموا رَضِيَ اللهُ عنهم بما يُصْنَعُ فى أضرحتهم من
هذه المنكرات لا سَتَقْبَحُوهُ واستغفروا الله منه

✧ الحجب والتهائم ✧

سعاد — ما هذا الذي تحت إبطك يا زينب ؟

زينب — هذا حجاب ألبستنيه أُمى يوم ولادتي .
ولمّا كبرتُ حذرتني خلعه حتى وقت النوم
سعاد — ألم تسألها عن السبب ؟

زينب — بلى ، فقد قالت : إنه مات لها عشرة أطفال
قبل أن أولد ، فأرشدتها إحدى جاراتها إلى رجل ورع ،
يَعْتَقِدُ صَلَاحَهُ وتقواه جميعُ أهل الخط ، فكتب لها هذا
الحجاب وأوصاها أن تلبسنيه عند ولادتي ، ولذا عشت ولم
أمت مثل إخوتي .

سعاد — وهل أعطته أمك شيئاً ؟

زينب — تقول إنها كانت تملك سواراً من ذهب
ثمنه ثمانية جنيهات ، فباعته وأعطت هذا الرجل خمسة
جنيهات لأنه لم يرض بأقل من ذلك



هذا دجال يُحْتال على منغيفات العقول بكتابة الحُب والتعاويد

سعاد — إذا قد اشترت حياتك بخمسة جنهات،
ولولا ذلك لكنت في جملة الأموات !

زينب — فسرى ما شئت ، فالأمر كما أوضحته لك
سعاد — ما أقبح الجهل فإنه يعمى الأبصار ويلقى
بصاحبه إلى التهلكة ! ألا تعلمين أن الحياة والموت بإذن الله
تعالى وأن لكل أجل كتاباً ؟ وأن الله لا يشرك في حكمه
أحدًا من عباده ، حتى الأنبياء والمرسلين أنفسهم ؟ فاعتقاد
مثل هذا مخالف للشرع الشريف . ولولا الجهل الضارب
أطنابه يديننا لما وجد أمثال هذا المحتال : هذا نوع من السلب
والخدعة وتفنن في الغش وسلب المال

زينب — إن كلامك لمؤثر جداً ، ولا سيما أن أمي
فقيرة ، ولم يمكنها حتى الآن تعويض السوار

سعاد — الآن وقد كبرت يازينب ، وتعلمت وتبين
لك الحق ، يحسن أن تنزعى هذه التماائم ولا تضحكى العقلاء
منك ، واجعلي ثقّتك في الله عز وجل ، فهو علام الغيوب ،
يُحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير

زينب — اننى أطيعك فيما تقولين : وهأنذا أنزع عني

هذا الحجاب ، وسأخبر أُمِّي بنتيجة هذا الحديث ، لتنصح
جاراتها وأقاربها بعدم إتيان ما يُعائِل ذلك في المستقبل

❦ قياس الأثر ❦

ذهب رجل لزيارة أخته في منزلها فلم يجدها ، فسأل
عنها ابنتها فقالت : إنها حملت ابنها الرضيع ، وذهبت لتقيس
له الأثر ، لأنه مريض منذ عشرة أيام ، وهو يسعل سعالاً
شديداً ، وحرارة جسمه عظيمة . فقال الرجل : وهل عُرِضَ
على الطبيب ؟ فقالت الفتاة : لا ، لأن أُمِّي ترى أَنَّ لافائدة
في الطبِّ والأطباء ، وقصرتْ همَّها على العلاج بالطرق
الوهمية الخرافية : فأرسلت أختي ثلاثة أيام متوالية للمرأة التي
تُلحسُ الأطفال ، فلم تتحسن حالته ، بل انقلبت إلى أسوأ .
ثم بخرته ببخور البر والمصطكى وكُناسة المطار ، فلم يُجِدْ ذلك
نفعاً . فدعت الرجل الذي يمرُّ على الأبواب قائلاً إنه يُخْرِج
الدُّود من أنوف الأطفال . فوضع يده على رأس أختي وصار



حملت ابنها الرضيع وذهبت لتقيس له الأثر

يَهْمُهُمْ بِكَلَامٍ لَمْ يَفْهَمُوهُ ، فَتَسَاقَطَ الدُّودُ مِنْ أَنْفِهِ كَثِيرًا ، وَأَنَا لَمْ
أُصَدِّقْ أَنْ كُلَّ هَذَا الدُّودِ كَانَ فِي أَنْفِ أَخِي . عَلَى أَنْ ذَلِكَ
كَلَهُ لَمْ يُشْمَرْ . وَلَمَّا أُعِيَتْ الْحِيلُ أُمِّي ، ذَهَبْتُ لِمَنْ يَقِيسُ
الْأَثَرُ ، فَلَمَّا رَأَى الْوَلَدَ ، أَعْطَاهَا ثَلَاثَ وَرَقَاتٍ مَطْوِيَةٍ وَأَوْصَاهَا
بِتَبْخِيرِهِ بِهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةٍ ، وَقَالَ لَهَا :
إِنْ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَحْضِرِيهِ لِأَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى . وَقَدْ فَعَلْتُ
لَأَنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ بَعْدَ زِيَارَتِهَا لِهَذَا الدَّجَالِ . فَلَمَّا سَمِعَ
الرَّجُلُ ذَلِكَ الْكَلَامَ خَرَجَ مُسْرِعًا ، وَاسْتَدْعَى طَبِيبًا . وَلَمَّا
عَادَ وَجَدَ أُخْتَهُ قَدْ رَجَعَتْ فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِ الْوَلَدِ . فَقَالَتْ :
إِنَّهَا سَيِّئَةٌ وَكُلَّ يَوْمٍ لَا يَزِدُّ إِلَّا وَبَالًا ، وَقَدْ أَعْطَانِي الشَّيْخُ
عَاشُورَ ثَلَاثَ وَرَقَاتٍ أُخْرَى وَإِنِّي قَدْ يَتَسْتُ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
إِنَّكَ يَا أُخْتِي قَدْ جَرَّبْتِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الطَّيِّبَ . فَأَجَابَتْ :
إِنِّي لَا أَحِبُّ الطَّبَّ وَلَا الْأَطْبَاءَ فَإِنْ وَالدُّنَا رَحِمَهَا اللَّهُ كَانَتْ
دَائِمًا تَنْهَانَا عَنْ إِدْخَالِ الطَّيِّبِ مَنْزِلَنَا ، لِأَنَّ دُخُولَهُ شُؤْمٌ .
فَقَالَ : يَا أُخْتِي إِنِّي قَدْ اسْتَدْعَيْتُ طَبِيبًا إِيخْصَائِيًّا فِي أَمْرَاضِ
الْأَطْفَالِ ، وَهَاهُوَذَا جَالِسٌ فِي غُرْفَةِ الْإِسْتِقْبَالِ ، فَلَا تَمْنَعِينِي

أن أعرض عليه الولد ، لعله يصف شيئاً يحسن حالته .
فقالت أفعل ما شئت

ففحصه الطبيب ، واتضح له أنه مصاب بالحمى ، وحالته
مُخْطَرَةٌ إن لم يُسَمَفْ بالدواء . فكتب تَذْكِراً استحضرت
على عَجَلٍ ، وأعطى الطفل الدواء على حسب إرشاد الطبيب :
فانخفضت درجة حرارته ، وأخذت حالته تتحسن شيئاً فشيئاً ،
ونام تلك الليلة نوماً هادئاً . فلما رأت ذلك أمه واظبت على
اتباع العلاج حتى شُفِيَ تماماً بعد أيام قلائل . فما كان أغنى
هذه الأم عن اتباع خطوات الجهل والتعلق بأهدابه ! وما
كان أولاهما من أول الأمر أن تدرك المرض عن ولدها
بالعلاج الشافي

فعليك أيتها الفتاة العاقلة ان تتعظي بهذا الحادث وما
يُمَثِّله ، إن في ذلك لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ

✽ منار تخويف الأطفال ✽

كثير من البنات قد سمع كلمة « ببيع » مرارا وتكرارا ولكن لا يعرفن معناها . ولو قالت إحداهن (ببيع ببيع ببيع) بصوت عال لكانت كأنها تقلد صوت الجمل . وهذه هي الكلمة التي ارتعدت منها فرائض الأطفال ، وسكت بها الحس ، وربما تشنَّجت الأعصاب . والسبب في شيوع هذه الكلمة ، أن أمّا من الأمهات الجاهلات بكت ابنتها الطفلة الصغيرة ، فبدل أن تبحث عن سبب بكائها ، وتعمل جهدها في علاجه ، أحدثت لها هذا الصوت المستنكر ، مشفوعا بقولها : ها قد جاء ليأكلك . فتتوهمه الابنة حيوانا كاسرا ، قد أتى ليغتال حياتها ، معتقدة صحة هذا الخيال الباطل ، لأنها طفلة ليس لها عهد بالكذب ، فتسكت على مضض ، فترتاح الأم غير حاسبة أنها إنما تربي في ابنتها الخوف والرعب ، الذي ربما تحدث منه الوفاة فجأة

ومثل (البعبع) جميع الأفانين الباطلة التي تختربها
 الأمهات الجاهلات ، لتكون وسيلة سهلة إكبح جماح
 الطفل ، والحيلة بينه وبين أغراضه . إذ لا يعرفن لذلك
 وسيلة أخرى ، فينشأ هيباباً وكلاً ، خائر القوى ، يَفْزَع
 لصغار الحوادث ، ولا يقوى على مواجهة صُرُوف الأيام



نعود بالله من الخوف والفزع

فأين هذه الأمُّ من تلك الأمِّ الراقية ، التي تُرَضِّع

طفلاً مع الابن ثبات الجنان والشجاعة ، فلا تجعل للخوف
والفرع سبيلاً إلى فؤاده ؟ ألا إنها بذلك تعدّه املاقة
الشدائد ومقارعة صُرُوفِ الدهر ، وبمثله تعزّ الأمة ويشد
ساعدها ، ويحمي حماها

❖ دُعاء الأم على أولادها ❖

* بين رجل وزوجته *

الرجل — لماذا كلُّ هذا السُخط وهذا الدعاء
على ابنتك ؟

الزوجة — لقد زَهَقَتْ رُوحِي منها وهي لا تسكت
ولا تهتأ

الرجل — وماذا عملت ؟

الزوجة — إنها تعاكس أخاها الصغير فيصرُخ ويتألم

الرجل — وهل تعمل هذا دائماً ؟

الزوجة — هي لا ترجع عن معاكسته وخطف ما بيده

فيكثر من الصخب وتعلمو الضوضاء

الرجل وهل وجدت أن دعائك عليها على هذه
الكيفية الشنيعة ، وصراخك في وجهها ، وإزعاجها ، يرجعها
عن غيها ، فتنتهي عن أعمالها هذه ؟

الزوجة — كلاً ، فإنها تزداد عناداً : ولقد سئمتُ
العيشة معها

الرجل — الحمد لله قد تبين لك أمرٌ كان خفياً عليك .
الزوجة — وهل هي تعمل ذلك لأنني أشتيمها وأدعو عليها ؟
الرجل — لا ، بل إن غرضي أن تفكر في شيء ناجع
غير هذا السبِّ واللعن . فلو جئت إليها بهدوء ، وأفهمتها
بأسلوب لطيف ، أن عملها هذا مع أخيها غير محمود ، أو لو
عاقبتها بأخذ لعبتها منها أو حذاءها الجديد ، أو بحرمانها من
فسحة معك ، لكان أنفع . فإذا هي استقامت وحسن
سلوكها في معاملتها له ، فرُدِّي إليها ما أخذت ، وارفعي عنها
ملامك وعقابك ، بشرط أن تفهم أن مثل هذا العقاب
واقعٌ بها إن هي عادت

الزوجة — هذه ابنة لا ينفع فيها شيء.

الرجل — جَرَّيْ ما أقول ترتاحي . وإني آسِفٌ إِذْ سمعتها يوماً وقد أغضبها أخوها تدعو عليه بكلام مثل الذي نسمعه منك . فأنتِ مثالي غيرُ حَسَنٍ لها . هذا إلى أن هذه الشَّيْمَةُ الكريهة هي لغة لا تفهمها هذه الطِّفْلَةُ ، ولا تؤثر فيها مطلقاً ، فأمامك أحد أمرين : إما عقابها بنحو ما قلت ، وإما أخذها بالحيلة ، وأما هذا الدعاء فيحط من كرامتك بين الناس . والسيدة الأوربية تدعو ابنتها ، وتوقفها أمامها ، وتكلمها في ذنبها بما تفهمه ، وتبين لها عيوبها ، وتهتددها إن دعت الحال ، وتنفيذ فيها عقابها . وكل ذلك يؤثر في الطفل إذا تم بنظام وتعقلٌ

﴿ الأختان ﴾

كان لأحد الناس ابنتان ، ربَّى كُبراهما بالمنزل ، فلا تعرف غير الطبخ ، والكنس ، والمسح ، وخدمة البيت . وكان للصغرى حظُّ الذهاب إلى المدارس ، فتعلمت القراءة

والكتابة والحساب ، ونالت الشهادة ، ثم دخلت مدرسة
المعلمات ، فحصلت على شهاداتها أيضاً ، وصارت مُدرّسة
بإحدى مدارس البنات . وكان أبوهما يجلس إليهما ، ويُنصت
لما يدور بينهما من الحديث والمباحثة . فيقع النضال والخلاف
بينهما بحكمة ما بين عقليتهما من التباين ، فكان كثيراً ما
يُصلح بينهما . فدار الحديث يوماً كما يأتي :

الكبيرة — إن ابنتي منذُ رأيتها بائعة التفاح ، لم تُفق من
المرض ، فكانَ عينا سببهم قد أصاب أحشاءها !
الصغيرة — لا يا أختي أنت تظلمين هذه المرأة ، وإنما
الذي أمرض ابنتك هو البلع الذي أكلته
الكبيرة — كأننا يأكل البلع وكل الأطفال تأكله ،
فهذا سبب غير صحيح

الصغيرة — إن الأطفال الصغار يجب ألا يُكثروا من
أكل البلع ، لا سيما غير الناضج منه . إن ابنتك لا يمر بائع
بالباب حتى تستوقفه وتشتري من مبيعاته القذرة ما يفسد
معدتها ، وأنت تساعدنيها على ذلك

الكبيرة — هل تنكرين العين ، وقد مرّضتِ يومين

بعد ما خَرَجَتْ من عندنا جارتنا وابنتها ، وكنت لابسة
ملابس جميلة ، وتشكمين بأفصح عبارة عن مدرستك
وراتبك فيها ؟

الصغيرة — أنت واهمة يا أختي : فإنني لم أَرْضُ إلا
من تساهلي بعد الخروج من الحمام الحار . فقد لبست بسرعة
لأقابل هذه السيدة ، وقعدت أمام النافذة وكانت مفتوحة ،
فحصل لي ما حصل . فيجب أن تبحثي دائماً عن الأسباب
الحقيقية وتطرحي الأوهام

الكبيرة — هذا لا يمكن ، ولا أرجع أبداً عن التبخر
بالبخور كل ليلة لمحاربة العين الخبيثة

الصغيرة — إن هذا البخور جميل الرائحة ، ومن خواصه
أنه يُدْفِئُ المحل ، فترتاح الأجسام إليه وإلى راحته . فهذا
سِرُّ البخور وليس له تأثير في العين كما تعتقدين . هذا وإنني
متكدرة لعدم كنس البيت وتنظيفه يوم الجمعة ، وهو اليوم
الذي يرتاح فيه والدنا فيجده قدراً

الكبيرة — يستحيل أن نكنس يوم الجمعة لأن هذا حرام

الصغيرة — إن اعتقادك هذا هو الحرام بعينه . ولا يليق أن نجلس والغرف من حولنا قدرة ، لا اعتقاد لا قيمة له . نعم يحسن أن نجتنب العجن والغسل في يوم الجمعة ، ولكن لا لهذا المعتقد الفاسد ، بل لأنه يوم راحة للجميع ، وفيه يكون والدنا معنا طول النهار .

الكبيرة — بنات المدارس لهن أفكار غريبة ، فلا يُصدّقن بملائكة تنفر من الكنس ، ولا بعفاريت تسكن البيوت ، بل لهن تأويل شتى في ذلك

الصغيرة — من العيب يا أختي وقد بلغت هذه السن أن تخافى من وجودك وحدك بالمطبخ ليلاً خشية العفريت ، وأغرب من ذلك أنك تصحبن ابنتك الصغيرة لتحميك منه ، ولا تستطيعين الذهاب بدونها ! فهل يعجز عفريتك الوهمي أن يضرّك وهي معك ؟ مسكينة هذه الطفلة تبشّر في هذه الفكرة في ذهنها من الصغر فتكبر معها كما كبرت معك ! فلا عفريت يشق الحائط فيظهر منه ، أو يخرج من الأرض فيخطف الناس . ولم نسمع أن حادثاً كهذا قد وقع اللهم إلا في الأقاصيص الخرافية . فإن كنت لا تشفقين على

نفسك من هذه الأوهام ، فارحمي ابنتك ، ولا تُلَقِّنِيهَا إِيَّاهَا
وما زالت الفتاة المتعلمة تُلَقِّي على أختها الجاهلة أمثالَ
هذه الدروس ، حتى نجحت في إخراجها من الظلمات إلى
النور ، والله يَهْدِي من يشاء إلى صراط مستقيم

﴿ السعادة المنزلية ﴾

ما لذة العيش بكثرة المال ، ولا تعدد الخدم والحشم :
فكم من منزل لا يروك منظره ، وهو في الحقيقة جامعٌ
لأسباب الراحة وهناءة العيش والسعادة . وكم من قصر منيفٍ
تُرى عليه آياتُ الجلال والجمال ، تَكْنُفُهُ الحدائق الغناء ،
وتجري من تحتها الأنهار وتغرّد على أفنان أشجاره الأطيّار ،
تخضع لربه رقابٌ وتعنو له وجوهٌ ، ولكنه قد حُرِمَ هو
وأفرادُ أسرته لذة الحياة ونعيم العيش

أتعرفين أيتها الفتاة منشأ السعادة في البيت الأول
على حقارته ، وسبب التعس في الثاني على اتساعه وعظمته ؟
إن معظم السبب يرجع إليك في كلتا الحالتين . فربة البيت

هى بمثابة الروح من الجسد: فكما أن الروح هو الذى يَنْشُرُ الحياة فى الجسم ، كذلك السيدة فى منزلها ، فهى رُوحه الذى به يحيا ، والنور الذى يَسْطَع ، فيُضِيء كل ركن من أركانه . وهى له أيضاً كالقلب للجسم : فإذا سكنت حركته انقطعت الحياة . ولا يَعْمُرُ ، ولا يُسَعِدُ أهله ، ولا تنتظم شؤونهم ، إلا إذا كان مشمولاً برعاية سيدة عاقلة ناضجة الفكر سديدة الرأى . وعلى نسبة عقلها وتديرها تكون درجة ارتقائه وانتظامه : فإن كانت السيدة مُثَقَّفَةً العقل ، نشيطة مُدَبِّرَةً ، حسنة التصرف فى مالها وخدمها وعشيرتها كان لمنزلها من وراء ذلك من أسباب السعادة والراحة ، ما يُغْبِطُ عليه مهما كان صغيراً حقيراً ، وكان هذا مُشْجِعاً لزوجها على احتمال المصاعب والمتاعب فى سبيل العمل فى معترك الحياة . أما الكسلانة النَّثُومُ ، المعتمدة على الخدم ، المُبَدِّرَةُ لِمَالِها ، التى لا هَمَّ لها إلا التزيُّنُ والوقوف أمام المرأة واستقبال الزائرات وردُّ الزيارات ، فبيتها مُهْمَلٌ قَدِرٌ ، وأولادها فاسدو الأخلاق لعدم من يُراقب شؤونهم ويلاحظ أحوالهم

النَّفْسِيَّةُ ، اللهم إلا الخدم وهم على ما نعلم من سُقُوط الآداب
والمخطاط النفوس

ومن نتائج هذا الخلل العام أيضاً أن ربَّ البيت يكره
أن يأوى إليه ، لأنه ليس جامعاً لأسباب راحته : فلا يجد
الطعام حين يطلبه مثلاً ، وإذا دخل غرفة ألفاها قَدْرَةً غير
مرتبة ، لإهمال السيدة أمرَ الخدم ، والقيامَ عليهم ، لاشتغالها
بأمر نفسها ، وإفراطها في تدبير شخصها

فحَذَارٍ حَذَارٍ أيتها الفتاةُ من مثل هذا . وادأني على
العمل بنفسك ولا تهملِي ، فَرُبَّ إهمالٍ جرَّ وبالاً . ولا تَرْكَنِي
إلى الخدم ، واسلُكي سبيل الهمة والرشاد تفوزي برضا الله
والناس أجمعين . ولمثل هذا فليعمل العاملون

﴿ الاستقلال المنزلي ﴾

نبيلة - هل تزوركُ فريدةُ كثيراً ؟

زينب - نعم تزورني كثيراً ولكن لا أرد لها زيارتها

لأنني غير راضية عن سلوكها معي

نبيلة — ولماذا؟ إني أعلم أنها تحبك حباً جماً
زينب — لقد عرفتُها ذات وجهين: تُظهر المحبة أمامي

ثم تتكلم بما يُؤلمني في غيابي
نبيلة — أظنك مخطئة يا زينب، أو ربما أوقع بينكما
من يحسدكما على صداقتكما

زينب — لا بل بلغني ما تقول ممن لا أشك في صدق
روايته . وقد كنت أرسل إليها في طلب بعض الأشياء
المنزلية: وما كان ذلك إلا لامتناع التكلف من بيننا، وما
كان لهذه السيدة من المكانة في نفسي، فكانت تقابل عملي
هذا بالانشراح

نبيلة — وهل كانت في كل مرة تبعث إليك بما تطلبين؟
زينب — نعم ولكن كانت كلما ضمها مجلس تقول
لأنها متضايقة جداً من مطالبي الكثيرة . وكانت تهزأ بي
وتسخر . فإذا كانت معي لا تدّخر وسعاً في ملاطفتي
ومؤانستي!

نبيلة — حقاً إن هذه أخلاق لا تليق بالسيدات

الطيبات . فكان ينبغي أن تستر لك هذا العيب ، لأن
استعارة الأشياء المنزلية في رأي عيب وتقص ، وليس أحلى
من الغنى عن الناس

زينب — ولكنها هي التي كانت تسهل لي هذه
الاستعارة ، فلا تسألني عن مقدار عَجَبِي من انقلابها وتغيرها
نبيلة — إن المرأة المناققة ذات الوجهين ضارة جداً ،
ويجب الاحتراس منها والابتعاد عنها . ولكنك يا زينب
كنت مخطئة في هذه الاستعارة

زينب — وماذا كنت أعمل وأنا في حاجة إلى كل
هذه الأشياء ؟

نبيلة — من النساء من تفضل أن تبقى في حاجة عن أن
تقرض ولو من أختها . وقد كان بالاعتقاد يمكنك الحصول
على كل ما ينقصك شيئاً فشيئاً

زينب — إني أقرض جارتني أحياناً شيئاً من العسل
أو اللبن أو الخلل أو غيرها

نبيلة — إني لا أنظر الآن إلى جارتك بعين الاحترام .

إذ ليس من اللايقان أن تُزعج الواحدة جارتها كل يوم بمثل هذه المطالب . أما الهدية فلا بأس بها . ولقد كنا نتعلم الاستقلال المنزلي في المدرسة بطريقة لطيفة : إذ كانت إحدانا إذا طلبت نَشَافَةً الأخرى أو قامها أو مسطرتها مثلاً منعها معامتنا ، وحتّمت أن يكون لدى كل تلميذة جميع أدواتها .
فهي بذلك تنبهنا إلى فضيلة الاستقلال المنزلي

❖ اللجنة تحت أقدام الأمهات ❖

عمتي من أعرف السيدات بالواجب عليها نحو زوجها وأولادها وبيتها . فهي لذلك سعيدة محترمة محبوبة : تقوم في الصباح مُبَكَّرَةً والكل نيام ، فتتحرك بتوَدّة وهدوء حتى لا يشعُر بها أحد . ثم تذهب فتُصلح من شأنها وتُصلي . فإذا حان الوقت أيقظت أولادها بلطف لأنها تخشى عليهم الانزعاج ، فإذا قاموا واشتغلوا بإعداد أنفسهم للخروج كل إلى وجهته ، شرعت تهَيّ لهم طعام الإفطار ، فيجلسون جميعاً على المائدة فيأكلون ويتحدثون بكل فكية مُستَمَلحة



الجنة تحت أقدام الأمهات

فإذا خرجوا وتركوها وحدها أخذت في ترتيب الأثاث وتنظيفه . ثم تتفرغ للطبخ ، فتجهز الطعام بيدها مع الحرص على نظافة ملابسها . فإذا تم الطعام أعدت نفسها لاستقبال زوجها وقد رجع من شغله تعباً مجهوداً . فيرى الدار ساكنة هادئة ، نظيفة ، مُرتبة . فإذا جلس للطعام لا يسمع إلا أحاديث سارة وأقوالاً مُريحة ، فلا شكوى ولا عتاب ولا تَضَجُّر . ثم تتولى بعد الغداء تنظيف المائدة وغسل الأواني ، ثم تستريح . فإذا رجع أولادها من المدرسة ، استقبلتهم بالبشاشة والهشاشة ، ونظرت في أمر راحتهم سائلة كلَّ عَمَاتٍ له في يومه الدِّراسي . فإذا جنَّ الليل رَفَرَفَ على بيتها السلام وشَمِلَتْهُ السعادة . وهكذا الأمهات الصالحات ، وبمثل هذا تكون اللجنة « تحت أقدام الأمهات »

في الحكايات

❦ العبرة بالأدب ❦

أعلنت مديرة أحد المستشفيات الكبرى بأورباً حاجتها لفتاة متعلمة ، لتساعدھا في الأ شغال الكتائية الخاصة بالمستشفى ، وحددت موعداً لفحص العرائض . فتقدم لهذه الوظيفة فتيات من جهات مختلفة . وفي الميعاد المحدد ، جلست المديرة مع اثنتين من طبيبات المستشفى في إحدى الغرف وفحصن هذه العرائض ، وقبلن الطالبات واحدة فواحدة فلما انتهين منهن جميعاً ، قالت المديرة : إن اختيارها صادم الفتاة فلانة . فسألتهما إحدى الطبيبتين عن سِرِّ هذا الاختيار مع أن هناك مَنْ هُنَّ أفضل منها . فأجابت بأنها فضلتها لما لحظته فيها من الآداب ورُقِّي الأخلاق : فانها قبل أن تدخل الغرفة نقرت الباب نقرّة خفيفة استئذاناً . ثم دخلت ولم تترك الباب مفتوحاً كما فعلت كثيرات قبلها ، ثم أقبلت



زاغ مفتون بـ ريش الطاووس
فما أسخفه !

علينا بأدب وابتسام ، ولما صادفت في طريقها هذا الكتاب
الذي كنت قد طرحته على الأرض قصداً لم تتخطه كما فعل
غيرها ، بل رفعته من طريقها ، ووضعت على المكتب بأدب
واطف . فلما خاطبتها وتأملت رأيها رأيت أنها نظيفة الثياب جداً ،
نظيفة الأسنان ، مقلمة الأظافر . هذا إلى أنه قد اتضح
لي من محادثتها أنها رزينة ، تبدو عليها علامات الحشمة وسمات
الوقار . فكل ما قدمته من الأوصاف مميزات تمتاز بها .
أليس كذلك ؟ فأقرت الطيبتان رأيها واستحسنتا الاختيار ،
وفازت الفتاة بفضل آدابها وجميل خصالها

مصاحبة غير النظراء ❦❦

يحكى أن زاغا* صادف ريش طاووس فلبسه وطار ،
حتى إذا رأى سرباً من الطواويس انضم إليه ، مؤمهماً أنه
واحد منهم . ولما خالطته الطواويس وتبين لها حقيقة أمره ،
وعرفت أنه دخيل فيها ، انقضت عليه ، ومزقت بمناقيرها

* هو غراب صغير يميل إلى البياض

ذلك الرداء المستعار ، ولم يتمكن الزاغ الغرُّ من النجاة بحياته
إلا بشقِّ الأُنْفُسِ . ثم أراد الرجوع لجماعة الزِيَّغان التي كان
عائشاً فيها من قبل ، ولكنها كانت قد عرّفت ما أتاه ذلك
الأحمق المفتون ، وأنه أراد أن يترفع عن البيئة التي نشأ فيها .
ولكن هيهات أن يصل إلى بُغْيَتِهِ : إذ رفضته وأبت كلُّ
الإباء أن تقبله ، قائلة له : إن عودتك إلينا لم تكن حباً لنا
ولا رغبة فينا ، بل هي الضرورة ألجأتك ، فاعزُّب عنا وإلا
أجهزنا عليك . فذهب المسكين وعاش حقيراً ذليلاً ، ونحلَّ
جسمه ، وتساقط ريشه من الذلِّ والوحدة ، فمات حزناً
وكدّاً . وهذا عقاب المغتر الذي تحدثه نفسه أن يهجر أهله
وخيلانه الأقدمين ، متطلعاً لمعاشرة مَنْ هُمْ أرقى منه شأنًا
وأعلى مكانةً ، فلا هو مقبول في الثانية ، ولا حافظ مكاته
في الأولى

فعلى الفتاة ألا تنظر إلى مَنْ هُنَّ أرقى منها ثروة أو
جاهاً ، وتتخذ لنفسها منهن مثلاً تنسج على منواله في إعداد
مابسها ، وتحمل أهلكها في شرائه وتهيته مالا طاقة لهم به ،

ثم تنضم إلى السيدات المثرىات اللاني لا تجتمعن إياهن
أواصرُ نَسَب ولا لُحمةُ قرابة ، وذلك للرغبة في الصيت
الكاذب ، وحبِّ الفخْفَخَةِ والعظمة الباطلة ، فتصبح بذلك
منبوذة ملفوظة مُحَنَّرَةٌ وتكون موضع السخرية بين
الناس أجمعين

❖ الرِّيبَةُ وَسُوءُ الظَّنِّ ❖

عاشت عُصْفُورَتَانِ في صدق ووفاء ، ومَحَبَّةٍ وإِخاءٍ ،
مدةً من الزمان . فخرجت إحداهما ذات يوم إلى أحد البيادر ،
فجمعت قمحاً كثيراً ملأت به العُشَّ ، وقالت لأختها : إن
ما نَحْزَنُهُ اليوم في وقت الرخاء ، ينفعنا غداً وقت الشدة والعناء ،
فقلت لها نِعَمْ مافعلت ، والعافل من يُعِدُّ للأيام عُدَّتَها حتى
لا يَمُدَّ يده بالسؤال والمَسْكَنة . واتفقتا على ألا تأكلا من
هذا القمح شيئاً . وكان القمح نَدِيّاً فامتلاً به العُش . فلما جاء
الصَّحْوُ جَفَّ فَصَغُرَ حَجْمُهُ ، وظهر أقل مما كان عليه من قبل



عُصْفُورَتَانِ فِي صِدْقٍ وَوَفَاءٍ

فَظَنَّتْ أَنَّ صَاحِبَتَهَا قَدْ أَكَلَتْ مِنْهُ فِي غِيَابِهَا ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا
تَلُومَهَا وَتُعْنِفُهَا ، فَأَقْسَمَتْ لَهَا أَنَّهَا لَمْ تَقْرُبْهُ قَطُّ ، وَأَنَّهَا عَلَى
وَعْدِهَا لَهَا ، فَلَمْ تَصْدَقْهَا ، وَمَا زَالَتْ فِي لُومِهَا وَعَنْبِهَا حَتَّى
صَافَتْ صَاحِبَتَهَا ذَرْعًا وَكَرِهَتْ الْمَقَامَ مَعَهَا ، فَغَادَرَتْ الْعُشَّ
وَمَا فِيهِ ، وَانْطَلَقَتْ هَائِمَةً عَلَى وَجْهِهَا . وَبَقِيَتْ الْآخَرَى
وَحِيدَةً كَثِيبَةً حَتَّى جَاءَ يَوْمٌ مُمْطِرٌ ، فَأَبْتَلَ الْقَمْحَ وَرَجَعَ إِلَى
حَالَتِهِ الْأُولَى . فَأَدْرَكَتِ الْحُمْقَاءُ خَطَايَاهَا وَعَرَفَتْ عَاقِبَةَ سُوءِ
الظَّنِّ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى نَفْسِهَا بِاللُّومِ وَالتَّعْنِيفِ وَالبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ
إِلَى أَنْ مَاتَتْ .

— ❦ صداقة الحيوان ❦ —

عِنْدِي قِطَّةٌ يَبْيَضُ نَاصِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ، وَلَهَا
ثَلَاثُ هُرَيْرَاتٍ تُرْضِعُهَا وَتَتَعَهَّدُهَا ، وَتُرَاعِيهَا كَمَا تُرَاعِي الْأُمُّ
الْعَاقِلَةُ أَطْفَالَهَا . وَابْيَاضُهَا النَّاصِعُ سَمَّيْتُهَا « يَاسْمِينَةَ » وَهِيَ
تُحِبُّنِي وَأَحْبَبُهَا : فَكُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ حُلُولِ مِيعَادِ عَوْدَتِي مِنَ الْمَدْرَسَةِ
تَسْتَقْبِلُنِي عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ ، وَتُقْبِلُ عَلَيَّ ، وَتَقْفُزُ عَلَيَّ كَتَفِي ،



صداقة الحيوان

وتلاعبني بلطف واثتناس . وإذا أمسكتُ رجلها لا تؤذيني
بمخالبها ، لأنها تعرف أنني أشفق عليها . أما طعامها فخبز
مفتوت في اللبن . ولا أعطيها شيئاً من اللحم ، لئلا تعتاد
أكله ، فتصير وحشية كالحيوانات المفترسة

ومن غريب ما حدث لي مع « ياسمينة » أنني كنت
مريضة يوماً من الأيام فانقطعتُ عن المدرسة . فلازمتني
ولم تبرح غرفتي غير دقائق معدودة ، وصارت تحوم على
سريري وتقف أحياناً عند رأسي ، ولم تتناول من الغداء أثناء
النهار إلا قطعة صغيرة من الخبز وكلما وضعوا لها طعاماً
أعرضتُ عنه على خلاف عاداتها ، فكانها من بنات آدم
لا تشتهي الطعام عند شعورها بغم أو حزن

ولما أبللتُ من مرضي وقت من فراشي ، صارت تجتهد
بما لديها من الوسائل أن تدخلَ عليّ السرور : فأخذت تأتي
بضروب الوثب والملاعبة ، والدوران حول نفسها متباعدة
النظر إلى ذيلها ، وهلم جرّاً . وسيكون لهذه القطعة عندي
من جميل الذكرى ما لا أنساه طول حياتي

تَلَسَّكُنْ أَيْهَا الْفَتَيَاتُ حَالَةَ قِطْعَةٍ مَعَ ابْنَةٍ صَغِيرَةٍ ،
 نَشَأَتْ بَيْنَهُمَا الْأُلْفَةُ وَالْحُبَّةُ ، بِفَضْلِ حَسَنِ الْمَعَامَلَةِ وَجَمِيلِ
 الْمَعَاشِرَةِ . فَأَيْسَرُ لَكُنَّ مِنْ هَذَا الْمَثَالِ مَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ فِي
 إِكْرَامِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُعْجَمِ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهَا وَالرَّفْقِ بِهَا . فَإِنَّ
 فِيهَا لَنَا مَنَافِعَ جَمَّةً ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْجَمِيلُ بِالْإِسَاءَةِ .
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولَى الْأَلْبَابِ

❦ الرِّفْقُ بِالْحَيَوَانِ ❦

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِمَّنْ فُطِرَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الشَّدَةِ وَالْعِلَظَةِ
 يَعَامِلُونَ الْحَيَوَانَاتَ مَعَامَلَةً قَاسِيَةً ، حَاسِبِينَ أَنَّ هَذِهِ الْعَجَمَائَاتِ
 لَا تَشْعُرُ وَلَا تَتَأَلَّمُ : لِذَلِكَ أُسِّسَتْ فِي الْقَاهِرَةِ جَمِيعَةُ الرَّفْقِ
 بِالْحَيَوَانِ . وَلَهَا فُرُوعٌ فِي الْمَدُنِ الْكَبِيرَةِ بِالْقَطْرِ الْمَصْرِيِّ .
 وَغَرَضُهَا حِمَايَةَ الْحَيَوَانِ مِنَ الْأَذَى وَالضَّرْبِ وَسُوءِ الْمَعَامَلَةِ ،
 وَتَكْلِيفِهِ مَا لَا يُطِيقُ مِنَ الْأَعْمَالِ . وَإِنَّا لَنَرَى الدَّوَابَّ مِنْ
 خَيْلٍ وَبُغَالٍ وَحَمِيرٍ فِي شَوَارِعِ الْمَدَنِ الْكَبِيرِ مُثْقَلَةً بِمَا



الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ
« إِيَّاكَ أَنْ تُؤْذِيَ حَيَوَانًا أَوْ تُجِيعَ طَائِرًا أَوْ عُصْفُورًا »

لا طاقة لها به ، وبعضها مريض أو جريح أو عطشان . ولا
يَنفَكُ صاحبها أو سائقها مع ذلك يضربها ويؤذيها بأنواع
الإيذاء . والسبب في ذلك راجع إلى الجهل والقساوة . فالجمعية
تبشر في مثل هذه الأحوال معالجة الحيوان ، وتزود المالك
أو السائق النصائح والإرشاد في معاملته ، وتفهمه ضرورة
مراعاة الرفق به والشفقة عليه . وإذا رأت الجمعية أن الحيوان
قد عذب فإنها تكون سبباً في عقاب الجاني . وللجمعية جملة
موارد للماء منتشرة في المدن الكبيرة ، لسقي الدواب
وإطفاء ظمئها ، كما أن لها مستشفى فسيحاً في القاهرة

فجزى الله المؤسسين والقائمين بهذا العمل الخيري
أحسن الجزاء . فإياك أيتها الفتاة أن تؤذي حيواناً بالضرب
أو التعذيب ، كأن تضربي قطعاً أو تجيعي طائراً أو عصفوراً .
أو تهملی تقديم الماء له . واعلمی أن الحيوان إذا جاع أو
عطش أو تألم ، فإنه لا يمكنه التعبير عما يُخالج فؤاده من
ذلك كما هو شأن الإنسان الذي خصّه الله بالعقل واللسان .
فتعذيب الحيوان يُوجب غضب الله والله شديد العقاب .
وقد جاء في الحديث الشريف « عَذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ

سَجَنَتِهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا
إِذْ جَبَسَتْهَا ، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ »

❦ مكسب شريف ❦

❦ حديث بين فلاحه و بنت بلد ❦

الفلاحه — تَعَالَى فَانْظُرِي دَجَاجِي فَعِنْدِي ثَلَاثُونَ
دَجَاجَةً ، رِيَّتْهَا مِنْذُ كَانَتْ أَنْفَاقًا ، فَأَصْبَحَتْ الْآنَ تَبْيِضُ
بِنتُ الْبَلَدِ — اللَّهُ مَا أَجْمَلَ مَنْظَرَهَا ! وَكَيْفَ كَبُرَتْ وَلَمْ
يَمِتْ مِنْهَا شَيْءٌ ؟

الفلاحه — لَمْ أَتَعَبْ فِيهَا كَثِيرًا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ
حَرِيصَةً عَلَيْهَا جَدًّا . وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أُخْرِجُهَا فِي شَمْسِ
الشَّيْءِ الدَّفْقَةِ اللَّذِيذَةِ ، وَأَقْعُدُ بِجَانِبِهَا أَهْشُ عَلَيْهَا بِعَصَا خَفِيفَةٍ ،
أَرَأَيْتَ الْحِدَاءَ ، فَهَذِهِ شَرُّ أَعْدَائِهَا ، ثُمَّ كُنْتُ أَنْثُرُهَا مَا أُعِدُّهُ
مِنْ غِذَاءٍ مِنْ أَرْزَاءٍ وَقَمَحٍ أَوْ جَرِيشٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَمَا أَحْلَى
مَنْظَرَهَا حِينَ أَرْمِي لَهَا قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنْ وَرَقِ الْخَسِّ أَوْ غَيْرِهِ
مِنْ الْخَضَرِ !

بنت البلد — إِنَّكَ ضَيَّعْتَ بِجَانِبِهَا وَقْتًا طَوِيلًا

الفلاحة — لا . لم أضيع وقتي سُدى ، لأنني أنقعت
الآن يبيضها ، لأن عشرين دجاجة منها تبيض كل يوم ،
وأبيع البيض كل أربع بقرش

بنت البلد — ولكن ربما لا تجد من يشتريه
الفلاحة — إني أبيع البيض كل يوم أو يومين لأناس
عرفوني وأدركوا في الأمانة والصدق . فلم أحاول يوماً أن
أغشهم ببيض مذر

بنت البلد — وهل تبعين لهم شيئاً غير البيض ؟
الفلاحة — أبيع لهم الحمام أحياناً . تعالى معي أرك مكانه
بنت البلد — هذا حمام كثير جداً . ولا بد أن يكلفك
في تغذيته وتعهده مالا طائلاً

الفلاحة — هذا عكس الواقع . وهو أقل نفقة من
الدجاج ، لأنه كما ترين في بُرج مفتوح . فهو يطير إلى الحقول
والبيادر ، يأكل منها ويشرب من الجداول . ومكسبه عظيم
لأنني أبيع كل زوج منه بخمسة قروش

بنت البلد — إنك على جانب كبير من الذكاء ، وتعرفين



والله لقد أحيت منك تربية الطيور المنزلية وشوقتي إليها

الطريق الشريف لكسب معاشك بكذك وجدك . فهل
عندك شيء آخر ؟

الفلاحة — عندى بَطْ ، وهو الآن فى البركة هذه
التي ترينها بجانب الدار . وهو دائماً فى الماء ، لأنه يحبّه حبّاً
جماً ، ولا يخرج منه إلا للأكل ، وما دام فى الماء فهو فى غاية
الصحة والنظافة

بنت البلد — هل يلدُ فراخه الصغيرة وهو فى الماء ؟
الفلاحة — إن البط لا يلد ، وإنما يبيض كالديجاجة .
ويبيض عندى فى المنزل ، لأننى فى المساء أسوقه إليه . والتي
قرب ميعاد بيضها أحجزها فى الصباح ، فلا تخرج مع الباقي
وإذا اجتمع مقدارٌ صالح من البيض حَضَنَتْهُ إحداهن ، ثم
تخرج منه الفراخ تمشى وراء أمها
بنت البلد — ما أجمل الصغار منه ! ولكن ألا تخافين

عليها من الغرق ؟

الفلاحة — ألا تسمعين فى مصر المثل السائر « ابن
الوز عوام » ؟ فإنه إذا صار فى الماء يعوم ولا بأس عليه

بنت البلد — وهل تبيعينه أيضاً ؟
الفلاحة — أرسل منه مع أبي في كل شهر أربعاً إلى
سوق البلد ، فتباع الواحدة بسبعة قروش أو ثمانية
بنت البلد — ما أهنأ حياتك أيتها العاقلة العاملة
النشيطة ! والله لقد أحبيتُ منك تربية الطيور المنزلية ،
وشوقتي إليها ، فسأقلدك وأجرب

❦ الفتاة الفلاحة ❦

في إحدى قرى الريف بالقرب من مدينة الزقازيق ،
خليفة لأحد أعيان مصر المقيمين في القاهرة . فذهب ذلك
السرى يوماً لتفقد حالتها ومزروعاتها ، وأخذ معه ابنتيه .
وكانت إحداهما واسمها « خليفة » تلميذة في السنة الرابعة
بالمدرسة السنية ، والأخرى وهى الصغرى واسمها « جليلة »
تلميذة في مدرسة الأمير عبد المنعم
ولما وصلوا جميعاً إلى الدار المقامة بالقرب من الضيعة ،
ونفضوا غبار السفر ، وغسلوا وجوههم وأيديهم ، خرج الرجل
لمقابلة شيخ البلد ووكيل الزراعة والعمال ، لاستطلاع آرائهم

ومفاوصتهم في شئون الأرض ، وماتم في أمر المحصول .
 أما حنيفة وجليلة فاستأذنتا والدهما في التنزه قليلا في المزارع
 والعودة بعد ساعة . فأذن لهما في ذلك . وكان إذ ذاك أوان
 ازدهار الفول ، ورائحة أزهاره الجميلة تذبعت منه ، وتختلط
 بالنسيم العليل البليل فتحدث سرورا وانشراحا عظيمين .
 وبينما هما في الطريق ، إذ بفتاة فلاحية في ريعان شبابها ماشية
 لابسة ثوبا من نسيج أسود ، واسع الكمين ، عاصبة رأسها
 بمنديل أحمر ، أما قدمها فكانتا حافيتين وعلى رأسها إناء
 من صفيح ، عليه غطاء من ليف . فاستوقفتها ، وبعد التحية
 سألتها عن اسمها . فقالت اسمي « مبروكة » فدار بينهما
 الحديث كما يأتي :

حنيفة — ما هذا الذي تحملينه على رأسك يا مبروكة ؟
 وأين تذهبين ؟

مبروكة — هذه صفيحة مملوءة ابنا ، وإني ذاهبة بها
 إلى منزل عمي

جليلة — وما تعمين في هذا البلد ؟

مبروكة - إني أحلب الجاهوسة، وأساعده أُمى في عمل
 الزُبدة والسمن والجبن، وأحمل الغداء لأبى وإخوتي كل يوم
 في الحقل. ثم أحمل أختي الصغيرة وألاعبها حين تكون أُمى
 مشغولة في طبخ العشاء. وعندى دجاجتان أطعمهما وأضع
 لهما الماء في الطاجن، وأخذ ييضهما كل يوم

حنيفة - هل ذهبت إلى القاهرة في حياتك يا مبروكة؟
 مبروكة - ذهبتُ مع والدى وأُمى مرة، وقد فرّقنا
 الزحام في شارع الموسكى، وضاعت نفوسنا، وأخيراً تقابلنا
 بالقرب من مسجد سيدنا الحسين

حنيفة - تعالى معنا وأقيمى في القاهرة، فإن الحياة فيها
 جميلة، ولنا منزل كبير مُضاء بالنور الكهربائى ومفروش بأحسن
 الفرش، وعندنا كثير من الخدم والماء كل الطيبة، والملابس
 الحسنة، ولنا عربة خاصة نستريح فيها في بعض الأوقات.
 مبروكة - لا ياسيدتى، أشكر فضلك. إني لا أحب
 أن أعيش إلا هنا في دارنا. وهى وإن كانت صغيرة بسيطة،
 أفضلها على غيرها. وليس شئ يسُرّنى مثل الهواء الطلق،

ورؤية المزارع الخضراء والماء يجري في وسطها . فنحن
الفلاحين مثل الطيور لا نألف إلا الحرية ، ولا نحب عبثة
المدن ، لأننا نشعر ونحن فيها كأننا محبوسون في قفص

جليلة — نعم والطيور لا يحب القفص ولو كان من ذهب .
فأنتم معشر الفلاحين تفضلون القرى على المدن ، لأن المدن
ضيقة في نظركم ، وفيها زحام وضوضاء لا يروقا نكم

مبروكة — نعم يا سيدتي ، ولا سيما العربات الكثيرة
التي منها ما تجره الدواب ، ومنها ما يمشى وحده بالنفس . ولما
كنا في مصر في تلك المرة رأينا عربة من هذا النوع ، وأردنا
أن نركبها إلى العباسية حيث دار العمدة في مصر . فجعل أبي
يشير إلى السائق بالوقوف فلم يقف

جليلة — إنك تقصدين عربة الترام التي تسير بالكهرباء
إنها لا تقف إلا في محطات معينة

حنيفة — وأظنك يا مبروكة حمدت الله عند عودتكم
من مصر إلى هنا بالسلامة . بارك الله فيك فإنك فتاة طيبة ،
نشأت وديعة ورضيت بحالتك ، بل فضلتها على كل حالة
سواها . أمسيت بخير .

نمء دنا لأبيهما ، وقصصنا عليه ما وقع لهما مع تلك الفلاحة ،
 فقل لهما : إن ما عليه الفلاحون من الجِدِّ والنشاط ، والدأب
 في العمل والقناعة ، هو أساس ثروة القطر المصري وعمرانه ،
 ولو توانوا أو تكاسلوا في أعمالهم ، والتفتوا للتَّرفِّ والكُماليات ،
 وأعملوا مراقبة مزارعهم ، وتركوا العناية بها . وطرحوها
 وراءهم ظهرياً ، لملت الزرع وجفَّ الضَّرْع ، ولأصبحت
 مصر أرضاً بَلَقَعاً قَفْراً ، وأمسى سكانها فقراء تاعسين كأهل
 البادية . فلا رَيْبَ في أننا مَعَشَرَ الحَضَرِيِّين مَدِينُونَ بِمَحْيَاتِنَا
 وَرَفَاهَتِنَا لَهُؤُلَاءِ الْقَرَوِيِّين : فَإِنَّهُمْ مَصْدَرُ سَعَادَتِنَا وَرَخَائِنَا ،
 وعلينا أن نكافئهم بِحُبِّنا لَهُمْ ، وعمل ما في وَسْعِنَا لِإِسْعَادِهِمْ ،
 وتوفير أسباب الراحة والهناء لَهُمْ

— لا تَحْكُمِي بِالظَوَاهِر —

مرَّت معاملة وتأميدتها أثناء استراحتها بقصر نخم ،
 تسكنفه حديقة فيحاء ، تَنْبَعِثُ مِنْهَا رَوَائِحُ تَنْمَشُ الْفُؤَادَ ،

الاخلاق ٢ - ٦

وتَشْرَحُ الصدر ، وأَرْضُهَا مفروشة بالرمل الأحمر الجميل ، وعلى
سَيَاحِجِهَا تَطْلُ الأَزْهَارُ بألوانها البديعة ، من ورد وفلّ وياسمين .
وعلى باب القصر خادمان ينتظران سيدهما ، وأمامه عربية ذلك
السيد ، وهى فى غاية النظافة والطَّلاوة . يجرها جَوَادَانِ
مُطَهَّمَانِ . أما السائق فحَدَّثَ عن جميل ثيابه ولا حَرَجَ .
فجرى الحديث الآتى بين البنت ومعلمتها : —

الفتاة — ما أَجْمَلَ هذا القصرَ وأَسْعَدَ ساكنيه ! ياليت
لنا مِثْلَهُ !

المعلمة — لا تحكى يا ابنتى بالظواهر ، فقد يكون
سكانه على اتساعه وجماله غيرَ متمتعين به لسبب لا نعلمه :
كأن يكون بعضهم مُصاباً بمرض عُضَالٍ ، أو مُنْغَصّاً بالفراق
أو الحزن أو الدَّيْنِ ، أو ما شا كل ذلك . وقد يكون لساكن
الكوخ من لذة العيش ما ليس لصاحب القصر . فطالما سمعنا
أن غنياً أُصيب بمرض ، فتمنى لو يبرأ منه ولو حُرِمَ كلِّ ماله ،
وأصبح لا يملك قوت يومه . والعبرة ليست بالظواهر ، وسبحان
من يعلم ما خَفِيَ وما ظَهَرَ . نعم فى الدنيا كثير ممن منَّ الله

عليهم بالثروة والجاه ، فعاشوا عيشة راضية مُرتاحي البال ،
مطمئني النفوس لا يَعْتَوِرُ صفاءهم كدرٌ وَلَا نَقْصٌ . وفيها
أيضاً فريق يملكون المال الكثير ، والضياع الواسعة ،
ولكن لديهم من أسباب النكد الخفي ما يجعلهم في عذاب
أليم ، فأولئك يُغْبِطُونَ في الظاهر ، ولكن حالتهم في الواقع
تستوجب الرأفة والشفقة ، وأمثالهم في الدنيا كثير فما أَحْسَنَ
الفقرَ مع السلامة !

وينماهما في الحديث إذا برجل أعمى قد خرج من ذلك
القصر ويده عصا يتوكأ عليها ، يقوده خادم ، فأجلسه في
العربة . فقالت المعامة لتأميذتها يظهر أن هذا يا بنتي صاحبُ
القصر بما فيه ، فهل ترغبين أن يكون حظك من الدنيا مثل
حظه ؟ فقالت الفتاة ولم لا ؛ فإنه متمتع بهذا النعيم ، وله من
الجواري والخدم عدد كبير ، وهذه دلائل الثروة الطائلة ،
فلا شك أنه يأكل أحسن الأطعمة وألذها ، وَيَلْبَسُ من
الملابس أفخرها ، وهل للانسان وراء ذلك مطمع ؟

المعامة — ولكنه أعمى لا يرى من جمال هذا القصر

ما تَرَيْنَهُ ، ولا في عِزِّ الثَّروَةِ وكثرة الخدم ما تتخيلينه ، ولا
هو متمتع برؤية البستان ، وما احتواه من بديع أنيق ،
وجميل رشيق ، فهو محروم نعمة البصر ، ويالها من نعمة من
الله بها علينا ! فيها نرى ما يحيط بنا من الأشياء ونفرق بين
الغث والسمين ، ونعرف العدو والحبيب وننجو من العثرات ،
ونأمن الزلات ، ونقرأ الكتب القيمة ، والمؤلفات المفيدة ،
لنستنير عقولنا بما حوته من علم ناضج ، ورأى سديد ، وحكمة
بالغة ، قال تعالى في فضل نعمة البصر : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم
مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

الفتاة — لك الشكر يا معلمي على ما هديتني إليه من
الرشد ، وإني أحمدُ الله على هذه النعمة العظيمة

المعاملة — إذا لا تغبطين أحداً على حالته الظاهرة ،
وارضى بما قسم الله لك ، واقنعي بما أولاك ، واشكريه على
آلائه ، قال تعالى « لَنُثَبِّتَنَّكُمْ لَنُؤَيِّدَنَّكُمْ وَلَنُكْفِرَنَّكُمْ
إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ »

﴿ حَذَارٍ مِنَ الطَّيْشِ وَالنُّزْقِ ﴾

كان الجهل منذ ألفى سنة مُخَيِّمًا بعقول الناس ، إلا
 رَزَّرَ البشير ، ممن خَصَّهم الله بنور التفكير والحكمة ، فجال
 بخاطر الشعب الروماني أن يثور على حكومته ، فثار نفر كبير
 منهم في الطُّرُقَات منادين بالخروج على الحكومة ، قائلين :
 «بِهَاثِقُلْ كَاهِلِ الْأَهْلِينَ بِالضَّرَائِبِ ، وَتَخْتَصِ بِمَا تَبْتَزُّهُ مِنْ
 مَالِ أَفْرَادًا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ وَغَيْرِهِمْ فِي شَقَاءٍ وَنَصَبٍ . فلما وصلوا
 بَنُوكِبِهِمْ إِلَى سَاحَةِ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى ، تَوَسَّطَ الْجَمْعُ شَيْخٌ
 بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا ، وَكَانَ مُتَّصِفًا بَيْنَ قَوْمِهِ بِالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ
 وَالْعِلْمِ ، مَحْبُوبًا مُحْتَرَمًا ، حَنَّكَتْهُ التَّجَارِبُ وَعَرَّكَتْهُ الْأَيَّامُ ،
 وَزَادَهُ وَقَارًا لِحَيْتِهِ الْبَيْضَاءُ الْمُرْسَلَةُ . فَقَالَ مُخَاطِبًا زَعِيمَهُمْ :
 «أَرَأَيْكَ تَجْمَعُ شَمَلَ النَّاسِ لِيُثَوِّرُوا عَلَى الْحُكُومَةِ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ
 «فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْصِ عَلَيْكُمْ حِكَايَةَ مَأْثُورَةٍ ، تَقْلُهَا الْخَلْفُ عَنْ
 السَّلَفِ ؟ قَالَ قُلْ وَأَوْجِزْ . قَالَ الشَّيْخُ : زَعَمُوا أَنَّ أَعْضَاءَ



توسط الجمع شيخ^ه بلغ من الكبر عتياً

الجسم ثارت مرة على المعدة لأنها تلتهم كل ما يدخلها من
الأطعمة ؛ مع أنها لا تعمل شيئاً ؛ بينما باقى الأعضاء تؤدى
جميع الوظائف والحركات ، والأعمال البدنية ، وليس لها
نصيب من تلك المأكول والمشرب . فاما وصل الشيخ إلى
هذا الحد من الحكاية صاح أكثر الحاضرين مجذّدين هذه
الثورة ، لأنها قائمة على حجة قوية وسبب معقول : إذ اليد
تدأب فى العمل والحركة ، والقدم تسعى ، والعين ترى ،
واللسان يُعبّر ، والأُسنان تطحن ، والأُذن تسمع ، فما
للمعدة سبيلٌ للدفاع ؛ وعليها تقع تبعّة هذا الحرمان . فقال
الشيخ : هل علمتم بيم دافعت المعدة عن نفسها ؟ قالوا لا
قال : انها لما سمعت ما نسب إليها من الظلم والحيف ، نظرت
إلى الأعضاء مبتسمة هادئة ، وقالت : يا قوم لو فكرتم فى
الأمر ملياً لتبينتم أنكم فى دَعْوَاكم مُخْطِئُونَ ، وفيما تَنْسُبُونَ
إلى مُخدوعون ، فما أنا إلا خادمة لكم مُسَخَّرَةٌ لهضم الأطعمة
وفصل طيبها من خبيثها ، وتوزيع الطيب عليكم ، كُلُّهُ وما
يَصْلُحُ له ، ولولا ما أجريه من الهضم والتنظيم ، لاختل أمركم
وفسدت حالكم ، فلا تغتروا بالظواهر ، بل كونوا منها على

حذر ، ولا تتسرعوا إلى الحكم ، ففي التسرع كل الشطط .
فأقنع هذا أعضاء الجسم وأخذوا يعتذرون عما فرطوا وأقسموا
ألا يُسيئوا الظن بالمعدة بعد ذلك . قال الشيخ : تلکم
یا أولادی حالکم مع حکومتکم ، فانها تجمع الضرائب لتنفقها
في سبيل المنافع العامة ، كحفظ النظام ، وإقامة العدل ، وتشيد
معاهد العلم ، وحفر الترعة وإقامة الجسور ، وتمهيد الطرق ،
وصدّ الأعداء عنكم ، إلى غير ذلك مما لولاه لأصبحت
حالکم فوضى ، لا تأمنون معها على أرواحکم ، ولا أعراضکم
ولا أموالکم ، بل لکنتم إلى الوحوش الضارية أقرب . فلما
سمع القوم هذه الحکاية ، استيقظوا من غفلتهم وعلموا أن
النار التي كانوا يلعبون بها کادت تُحرقهم ، وتوقعهم في أشد
المهالك . فاستمعوا لأقوال هذا الحکیم البلیغ ، وأنصتوا
وعملوا بوصيته الغالية

فویل للطائشين الذين يأخذون الأمور على ظواهرها ،
ويسیرون في أقوالهم وأعمالهم من غير تبصّر ولا تفكير في
عاقبة ما يفعلون « أولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضل
سعیهم في الحياة الدنيا وهم یحسبون أنهم یحسنون صنعا »

في الأناشيد

﴿ أنشودة طفل عند نومه ﴾

نام طفلي نام طفلي	معه قلبي وعقلي
ناظراً حين المنام	نحو وجهي بابتسام
ردد الطرف إلى	إنه مال علي
وغفا يمسك ثوبي	إنه يمسك قلبي
يا «سعادات» احمليه	وعلى الفرش ضعية
وخذيه بتأن	وله سمى وغني
يا مليح الوجه يابني	صغت من ظرف وحسن
ثم إلى سجع الحمام	في أمان وسلام
حاطك الله الكريم	ولك الخير يديم
ما شدا الطير وناحا	واكتسى الزهر صباحا
لؤلؤ الطل وشاحا	وبطيب النثر فاحا

﴿ نشيد الصباح ﴾

يا مَرْحَباً جاء الصُّباحُ والليلُ كالمَهْزومِ راحُ
والديك في النِّيامِ صاح يشدو بحَيٍّ على الفلاحِ

وَيُسَبِّحُ اللهَ الكَرِيمَ

يا بِنْتُ هُمَيٍّ تُحْمَدِي وَبِخَيْرَةِ النَّاسِ اقْتَدِي
وعن المكاره فابْعُدِي وإلى المكارم فاهْتَدِي

نحو الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْأَقْاحِ والوردِ حينَ زكا وفاحِ
والطَّيْرِ إِذْ غَنَّى وَنَاحِ والطللِ في الأوراقِ لاحِ

فَكَانَ الدُّرُّ النُّظِيمِ

قومي إذا الشمسُ بدتْ والورقُ في الروضِ شَدَّتْ
مَنْ عَمِلَتْ واجْتَهَدَتْ تَقَدَّمَتْ وَأَفْلَحَتْ

فالفوزُ بالجِدِّ الْعَظِيمِ

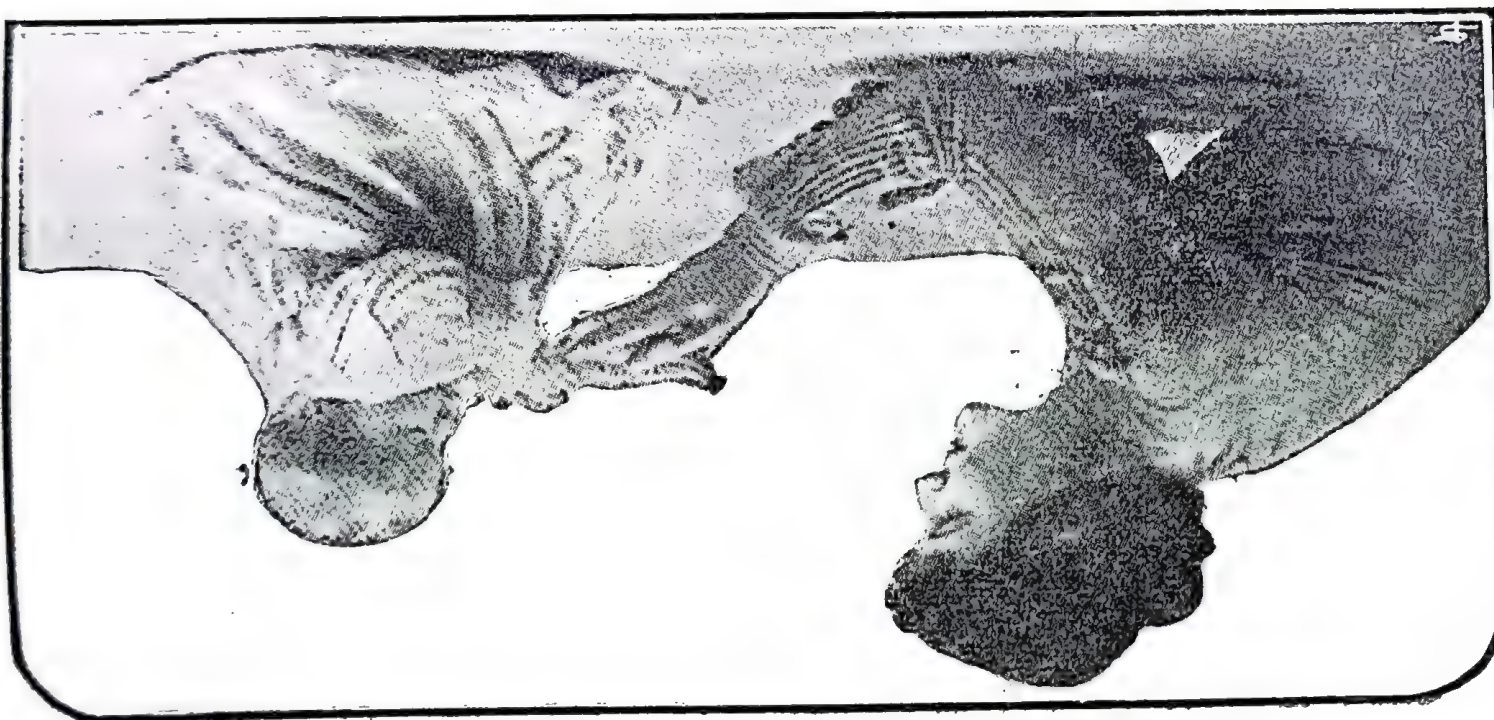
يا رَبِّ يا مولى النعم يا مَنْ يُعَلِّمُ بالقلمِ
منك الهدى منك الكرم منك الشفاء من السقمِ

وبك الملاذُّ الْمُسْتَدِيمِ

الحنان والأمل

فَأَنْتَ ضِيَاءُ الْعَمِيرِينَ	لَحَبِّكَ أَحْنُو عَلَيْكَ
مُقِيمٌ إِلَى أَنْ تَجِيَنِي	نَمَلٌ فَقَابِي لَدَيْكَ
إِذَا مَا مَرَضْتُ وَتَشْكُو	حَرَامٌ عَلَى الْمَنَامِ
وَمَا أَنْتَ تَنْمُو وَتَرْكُو	حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ
إِذَا الدَّهْرُ يَوْمًا يَخُونُ	فَأَنْتَ عَزَاءُ النُّفُوسِ
تُفَرِّجُ هَمًّا يَكُونُ	وَأَنْتَ يَوْمٌ عَبُوسٍ
إِذَا مَا سَقَتْهُ الْغُيُومُ	شَبِيهَكَ فِي الرُّوضِ زَهْرُ
حَوَالِيهِ تَزْهُو النُّجُومُ	وَيَخْشَكُكَ فِي الْجَوِّ بَذْرُ
يُعِينُكَ رَبُّ السَّمَاءِ	سَتَبْلُغُ شَأْوَ الرِّجَالِ
فَأَنْتَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ	وَيَارَبِّ حَقِّقْ سُؤَالِي

۱۶۸۹



﴿ في العجلة الندامة ، وفي التأني السلامة ﴾
« القُبْرَةُ وابْنُهَا »

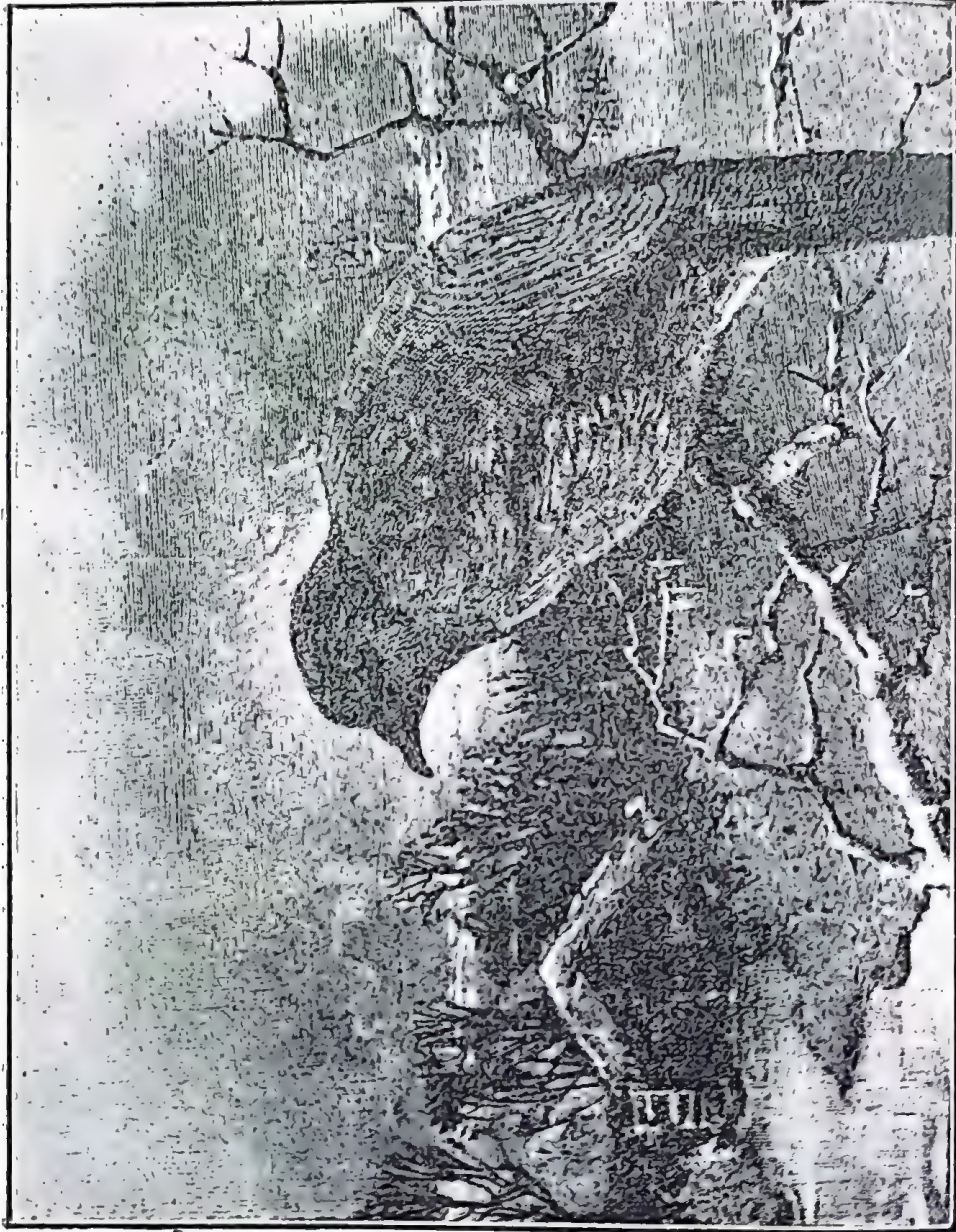
رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَهُ	تُطِيرُ ابْنُهَا بِأَعْلَى الشَّجَرِ
وَهِيَ تَقُولُ يَا جَمَالَ الْعُشِّ	لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَشِّ
وَقِفْ عَلَى عُودٍ بِجَنْبِ عُودِي	وَافْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ فِي الصُّعُودِ
فَانْتَقَلْتُ مِنْ فِتْنٍ إِلَى فِتْنٍ	وَجَعَلْتُ لِكُلِّ نَقْلَةٍ زَمَنٍ
كَيْ يَسْتَرِيحَ الْفَرَخُ فِي الْأَثْنَاءِ	فَلَا يَمَلُّ ثِقَلُ الْهَوَاءِ
لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ	لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ (الشَّطَّارَةَ)
وَطَارَ فِي الْفُضَاءِ حَتَّى ارْتَفَعَا	نَخَانَهُ جَنَاحُهُ فَوَقَعَا
فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ	وَلَمْ يَنْزِلْ مِنَ الْعُلَا مَنَاهُ
وَلَوْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمْنَى	وَعَاشَ طَوْلَ عُمرِهِ مُهْنًا
لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَقْتُهُ	وَعَايَةُ الْمُسْتَعَجِلِينَ فَوْتُهُ

« الشُّوقِيَّاتُ »

﴿ إِنْ كَانَ الْكَلَامُ مِنْ فِضَّةٍ ، فَالَسَّكَوْتُ مِنْ ذَهَبٍ ﴾
 « اليمامةُ والصيد »

يَمَامَةٌ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ	آمَنَةٌ فِي عُشِّهَا مُسْتَتَرَةٌ
فَأَقْبَلَ الصَّيَادُ ذَاتَ يَوْمٍ	وَحَامَ حَوْلَ الرَّوْضِ أَيَّ حَوْمٍ
فَلَمْ يَجِدْ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا	وَهَمَّ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
فَبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحَمَقَاءُ	وَالْحُمُقُ دَائِبَ مَالِهِ دَوَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالَّذِي سَيَحْدُثُ	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَمَّ تَبْحَثُ
فَالْتَفَتَ الصَّيَادُ صَوْبَ الصَّوْتِ	وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرْشِهَا الْمَكِينِ	وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السَّكِينِ
تَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ	مَلَكَتْ نَفْسِي لَوْ مَلَكَتْ مُنْطِقِي

« الشوقيات »



مَلَكْتُ نَفْسِي لَوْ مَلَكْتُ مَنْطِقِي

تراجم بعض مشهورات النساء

(بَلْقِيسُ ملكةُ سَبَأَ)

اشتهرت بلقيسُ بقصتها المعروفة مع سليمان بن داود عليهما السلام ، وورد ذكرها في القرآن وغيره من الكتب المنزلة . ذلك أنه كان لها مُلكٌ عظيم واسع الأطراف ، حاضرتُه سبأً في بلاد اليمن . وكان لها من المجد والسلطان ، والعز والشرف ، ما يُضرب به الأمثال ، حتى قال بعضهم : إنه كان تحت نفوذها أربعمائة ملك ، يَسْتَظِلُّونَ برايتها ، لكل منهم جيش يبلغ أربعين ألفَ مقاتل . وأما عرشها الوارد ذكره في القرآن الحكيم ، فقليل إنه كان سريراً ضخماً من ذهب وفضة ، مرصعاً بالجواهر الكريمة ، وكان في جوف سبعة بيوتٍ عليها سبعة أغلاق ، كل بيت داخل الآخر ، وهو في آخرها . وقيل كان مُقدَّمُهُ من الذهب ، مُحَلَّى

باليافوت الأحمر والزمرّد الأخضر ، وموخره من فضة ،
مكلاً بأنواع الجواهر والآلى . ولعل فيما تقدم من الوصف
مبالغة عظيمة ، إلا أنه يدل على أن ذلك العرش لم يسبق له
مثيل في الجمال والأبهة . وأما حكايتها مع سليمان فإنه عليه
السلام لما سمع بصيتها وأوصاف عرشها قال : « يا أيها الملأ
أيكم يأتيني بعرشها » فجاء الهدهد ، وكان قد عرف مكان
بلقيس فأخبره بخبرها ، ودله على مكانها ، فكتب لها
سليمان كتاباً وقال للهدهد : « اذهب بكتابي هذا فآلقه
إليهم » فوافها وهي في قصرها ، فرمى الكتاب في حجرها ،
فقرأته فإذا به « بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني
مُسامين » فأخبرت قومها بأمر هذا الكتاب فقالوا : « نحن
أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا
تأمرين » . قالت : إني مرسلّة بهدية ، فإن قبلها ملكهم
فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى ، وإن لم يقبلها فهو
نبي من عند الله . فلما قدّم الوفد على سليمان ومعهم الهدية ،
ووقفوا بين يديه ، نظر إليهم بوجه طلق ، ثم قال : « اتّمدّون



الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ يَسْتَقْبِلُ بَلْقِيسَ مَلِكَةَ سَبَأَ

بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ » ثُمَّ رَدَّ الْهَدِيَّةَ . فَرَجَعَ الْقَوْمُ
وَأَخْبَرُوهَا فَعَلِمَتْ أَنَّهُ نَبِيُّ كَرِيمٍ . وَشَخَّصَتْ إِلَيْهِ فِي مَوْكِبٍ
مَهِيْبٍ ، مُحْفُوفٍ بِالْجَلَالِ وَالْعِظَمَةِ ، وَجِئَءَ إِلَيْهِ بِعَرْشِهَا ، ثُمَّ
دَعَاها إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَتْ ، وَقِيلَ إِنَّهُ تَزَوَّجَهَا ، وَتُوُفِّيَتْ
قَبْلَهُ فَدَفِنَهَا بِالشَّامِ

﴿ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ﴾

إِنَّ فِرْعَوْنَ طَغَى وَبَغَى ، وَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ
قَسْوَتِهِ وَغِلْظَتِهِ وَسَفَاهَةِ رَأْيِهِ ، أَنَّ أَمْرَ بَذْخِ كُلِّ مَنْ يُولَدُ فِي
زَمَانِهِ مِنَ الصَّبْيَانِ ، لِأَنَّهُ كَهَنَتُهُ أَبْلَغُوهُ أَنْ سَيُولَدُ فِي أَيَّامِهِ
وَلَدٌ ، يَكُونُ سَبَبًا فِي تَقْوِيضِ عَرْشِهِ وَنَزْعِ مَلِكِهِ ، وَإِحْلَالِ
الْمَصَائِبِ وَالْبَلَاةِ بِهِ . فَجَعَلَ يُشْكَلُ الْأُمَهَاتُ ، وَيُحْزَنُ
الْأَسْرَاتُ ، مِنْ غَيْرِ مَبَالَةٍ . وَكَانَ لِفِرْعَوْنَ امْرَأَةٌ هِيَ غَايَةُ فِي
الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ، نَهَايَةُ فِي الْعَطْفِ وَالْإِحْسَانِ ، اسْمُهَا آسِيَةُ .
وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِكَمَالِهَا وَدِمَائَةِ أَخْلَاقِهَا . فَكَيْمَ دَفَعَتْ
بِلَاءً وَدَرَأَتْ مَصَائِبَ ، وَبَدَّلَتْ الْعُسْرَ يُسْرًا ، حَتَّى كَانَتْ
رَحْمَةً لِلْعِبَادِ فِي زَمَنِ فِرْعَوْنَ الْفِرَاعْنَةِ ، وَدَاهِيَةً الدَّوَاهِي :

من ذلك حادثُ سيدنا موسى عليه السلام : فقد جاء في الأنبياء
 أنه بينما كانت آسية جالسةً في حديقتها الغناء ، ورومنه
 الفيحاء ، تجرى من تحتها الأنهار ، إذا بتابوت قد أفل
 سائماً على الماء يجرى الهوينى ، حتى صار منها قاب قوسين
 أو أدنى . فأمرت جواريتها بإخراجه ، لاستطلاع أمره ،
 والوقوف على خبره . فلما فتح إذا داخله مولود كريم ، بهى
 الطلعة مكيح المحيّا . فحرك منها عوامل الحنان ، وتملكها
 من أجله الرفق والإشفاق . فأمرت به أن يحمل إلى داخل
 القصر ، يتعهد بالعناية ويشمل بالرعاية . وما عثم خبره أن
 ذاع فأمر به أن يقتل . فحالت دون ذلك آسية ، وشفعت له
 عند فرعون . وما زالت به حتى استحياه (ليكون لهم عدواً
 وحزناً) ورُبّي في داره حتى بلغ أشده ونال منه ما نال : ويقال
 إن آسية هذه كانت ممن آمن بموسى فيما بعد ، فأدرك فرعون
 منها ذلك فانقلب عليها وتبدّل حبه لها عداً ، ولكنها لم تكن
 تعباً به ، لما كانت تعلم من أنها على الحق فلم يغرّها منه
 رخاء ، ولم يجتذبها إليه وعد ، بل ولم يهددها منه وعيد ،

وَدُرُوْى فِى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 خَيْرُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ
 مَرْأَةُ فِرْعَوْنَ »

— تَمَاضِرُ الشَّهِيْرَةِ بِالْخَنَسَاءِ (١) —

وَفَدَّتْ عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْمِهَا فَأَسَامَتْ
 مَعَهُمْ . وَكَانَتْ أَشْعَرَ أَهْلِ زَمَانِهَا ، وَهِيَ مِنَ الْمَعْتَرَفِ لَهَا
 بِالْفَوْقِ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ . وَأَكْثَرَ شَعْرِهَا فِي رِثَاءِ أَخَوَيْهَا
 مُعَاوِيَةَ وَصَخْرٍ . وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَخَاهَا لِأُمِّهَا وَأُيَيْهَا ، وَكَانَ صَخْرُ
 أَخَاهَا لِأَبِيهَا ، وَأَحَبَّهُمَا إِلَيْهَا . وَاسْتَحَقَّ صَخْرُ مِنْهَا ذَلِكَ
 لِأَنَّهُ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْحِلْمِ ، مشهوراً بِالْجُودِ ، معروفًا بِالْإِقْدَامِ
 وَالشَّجَاعَةِ ، مُحْفُوظًا فِي الْعَشِيرَةِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَجْمَلِ رِجَالِ
 الْعَرَبِ . فَلَمَّا قُتِلَ جَلَسَتْ الْخَنَسَاءُ عَلَى قَبْرِهِ زَمَانًا طَوِيلًا ،
 تَبْكِيهِ وَتَرْثِيهِ بِأَبْلَغِ مَاقَالِ الشُّعْرَاءِ فِي الرِّثَاءِ . وَقَدْ أَجْمَعَ الشُّعْرَاءُ
 عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا أَشْعَرَ مِنْهَا . وَقَالَ أَحَدُ
 كِبَارِ الشُّعْرَاءِ مَرَّةً : لَمْ تَقُلْ امْرَأَةً قَطُّ شَعْرًا لَا يَبِينُ الضَّعْفُ

(١) الْخَنَسَاءُ الْبَهْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ

في شعرها . فقيل له أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك فوق
 الرجال . وقد قابلتها عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
 بعد ما مات أخوها صخر ، وهي محزونة محلوقة الشعر ، تدب
 من الكبر والضعف على عصا ، فسألتها عائشة : ما دعاك إلى
 هذا إلا صنائع من جميله فصفيها لي . قالت نعم : ذلك أن
 زوجي كان رجلا متلافاً للاموال يقامر بالقِداح ، فأتلف فيها
 ماله ، حتى بقينا على غير شيء . فأراد أن يسافر ، فقلت له
 أقم وأنا آتي أخى صخر فأسأله ، فأتيته ، فشكوتُ إليه
 حالنا وقلة ذات أيدينا ، فشاطرني ماله . فانطلق زوجي فقامر
 به فقمر ، حتى لم يبق لنا شيء . فعدت إليه في العام المقبل ،
 أشكو إليه حالنا ، فصار لي بمثل ذلك ، فأتلفه زوجي . فلما
 كان في الثالثة أو الرابعة ، خلت بصخر امرأته فعذلتُهُ ، ثم
 قالت : إن زوجها مُقامر وهذا مالا يقوم به شيء ، فإن كان
 ولا بُدَّ من صلتها فأعطها خمس مالك ، فإنما هو مُتلف والخير
 فيه والشر سيان . فلم يرَضَ صخر بذلك ، بل شَطَرَ ماله
 شطرين ، وأعطاني أفضلهما . فلما مات أصبحتُ على ما ترىنه

ولما قَدِمَتِ الْخَنَسَاءُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِيَسْلَمَهَا فَأَسْلَمَتْ ، وَاسْتَنْشَدَهَا فَأَنْشَدَتْ فَأَعْجَبَ بِشِعْرِهَا
 وَهُوَ يَقُولُ : هَيْهَ يَا خَنَسَاءُ ! ثُمَّ انْصَرَفَتْ . وَكَانَتْ صَادِقَةً
 لَوَطْنِيَّةٍ بَاسِلَةً : ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا سَارَتْ جِيُوشُ الْعَرَبِ لِفَتْحِ بِلَادِ
 فَارِسَ ، انْضَمَّتْ إِلَيْهِمْ وَمَعَهَا أَبْنَاؤُهَا الْأَرْبَعَةُ ، وَحَضَرَتْ
 وَفْعَةُ الْقَادِسِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ . فِي لَيْلَةِ الْوَقْعَةِ صَارَتْ تُزَوِّدُهُمْ
 بِالنَّصِيحَةِ ، وَتُذَكِّرُكُمْ حَمِيَّتَهُمْ . وَمِمَّا قَالَتْ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ إِنَّكُمْ
 أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مَخْتَارِينَ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
 خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ « اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرْبَ قَدْ شَمَرَّتْ عَنْ سَاقِهَا ،
 فَيَمُّوا وَطَيْسَهَا تَظْفَرُوا بِالْغَنَمِ وَالْكَرَامَةِ ، فِي دَارِ الْخُلْدِ
 وَالْمَقَامَةِ . فَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمُ الصَّبْحُ بَاكِرُوا مَرَاكِزَهُمْ ، فَتَقَدَّمُوا
 وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، يُنْشِدُونَ أَرَا جِيزَ يَذْكُرُونَ فِيهَا وَصِيَّةَ
 أُمِّهِمُ الْعَجُوزِ لَهُمْ ، حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ . فَبَلَغَهَا الْخَبْرَ فَقَالَتْ :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ
 فِي مُسْتَقَرِّ الرَّحْمَةِ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرَ

المؤمنين وقتئذٍ يُعطيها أرزاقَ بَنِيهَا الأربعة . وكان لكل
منهم مائة درهم . فهكذا يكون الصَّبْر والثَّبات . ولمثل هذا
فلتعملِ العاملات

ومن شعرها رضى الله عنها :
ألا يا صخرُ إنَّ أبكِيتَ عيني
فقد أضحككتني زمناً طويلاً
بكيتك في نساءٍ مُعولاتٍ
وكنتُ أحقَّ منْ أبدى العويلا
إذا قبَّحَ البكاء على قتيل
رأيتُ بُكاءك الحسن الجميلاً
ومنه :

وإنَّ صخرًا لمولانا وسيِّدنا
وإنَّ صخرًا إذا نشئوا لنَجَّار
وإنَّ صخرًا لتاتمُّ الهداةُ به
كأنه علمٌ في رأسه نارُ
ومنه :

يذكّرني طلوعُ الشمسِ صخرًا وأذكّره بكلِّ مغيبِ شمسٍ

ولولا كثرة الباكين حوِّلي
وما يَكُونُ مثْلَ أخِي ولكن
على أخواتهم لَقَتَلْتُ نَفْسِي
أَعَزَّى النَفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي

﴿السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم﴾

قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالطَّاهِرَةِ . وَهِيَ
أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ . وَلَقَدْ كَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَاتَ ثَرَوَةٍ وَافرة وَمَالٍ طَائِلٍ .
فَتَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ لِلتِّجَارَةِ فِي مَالِهَا ، وَتَجْعَلُ لَهُمْ شَيْئًا مِنْهُ .
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَرَدَّدُ عَلَى الشَّامِ لِلتِّجَارَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ خَدِيجَةُ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِدْقَ الْحَدِيثِ ، وَعِظَمَ الْأَمَانَةِ وَكَرَمِ
الْأَخْلَاقِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ رَسُولًا ، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ لِيَخْرُجَ
فِي مَالِهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا مَعَ غُلَامِهَا «مَيْسَرَةَ» ، وَتُعْطِيهِ
أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ فَقَبِلَ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ
وَالسَّلَامَ حَتَّى بَلَغَ الشَّامَ ، وَبَاعَ وَاشْتَرَى . وَعَادَ وَقَدْ رَبِحَ
ضِعْفَ مَا كَانَ يَرْبِحُ غَيْرُهُ . فَلَمَّا رَأَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ بِالْغَتِّ
فِي إِكْرَامِهِ ، حَتَّى أَثَرَتْ إِثْرًا كَبِيرًا . وَقَدْ عُرِفَتْ بِرُجْحَانِ

العقل وأصالة الرأي . فقال إليها أعظم قريش وصار كل
يخطبها، ويتمنى أن تكون له زوجة . ولكنها آثرت النبي صلى
الله عليه وسلم وتزوجت به ، وبقيت معه أربعاً وعشرين سنة
وأشهرًا ، لم يتزوج عليها أثناءها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث
سنين ، فحزن عليها حزناً شديداً وعظمت عليه مصيبتها
وإن التي تتأمل في ترجمة حياة هذه السيدة الكريمة ،
لا يسعها إلا أن تعجب كل الإعجاب بما وهبت من فكر
ثاقب أدركت به منزلة التجارة وعظيم شأنها في العمران ،
فخصصت ثروتها الطائلة للبيع والشراء حباً في تشمير المال .
ولم تشأ أن تخزنه أكداً ، لأن المال إنما يزكو بحركة
التداول ، فيزداد وينتفع به صاحبه ، كما ينتفع بجانبه من
قاموا بتكثيره . هذا إلى رواج السلع وتمتع مشتريها بها ،
لأن المال هو الذي ينقلها من أوطانها ويداولها بين الناس .
ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التجارة بقوله (تسعة
أعشراء الرزق في التجارة) ولم يقيم بها بنفسه إلا لإجماع
على أنها مهنة شريفة . فأين السيدة خديجة رضي الله عنها

من كثير من النساء اللاتي لا يعرفن للمال قيمة غير أن
يشترين الملابس الثمينة والحلي من الذهب والحجارة الكريمة
التي لا فائدة منها سوى الفخر الباطل ، والعجب المقوت .
نعم لا ينكر أحد ضرورة الزينة للسيدات وحُبهن لها ، ولكن
المنكر أن يُنفق كلُّ المال أو معظمه عليها ، مع امكان تكميله
والانتفاع به : والسيدات في خديجة رضى الله عنها وغيرها
من فضليات النساء أسوةٌ حسنة

❦ عائشة بنت أبي بكر ❦

هي ابنة سيدنا أبي بكر الصديق ، أول الخلفاء الراشدين
رضوان الله عليهم . تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي في
حدائث سنّها . وتوفّي قبل أن تبلغ ثمانية عشر حولا
وكانت مشهورة بأصالة الرأي ، وثاقب العقل ، وفرط
الذكاء ، مع غزارة العلم وفصاحة اللسان . فكانت إذا تكلمت
استرعت الأسماع ، وإذا خطبت بين الجموع ملكت
أفئدتهم ، وسحرت ألبابهم : فهي التي هاجت الخواطر على

قَتَلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ ذَلِكَ
وَقَعَةَ الْجَمَلِ الْمَعْرُوفَةِ . فَإِنَّهَا لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ عَثْمَانَ اغْتَالَتْهُ الْيَدُ
الْأُتَيْمَةَ فِي الْمَدِينَةِ بِتَدْيِيرِ فَرِيقٍ مِنَ الْقَتَلَةِ الْفَجَرَةِ ، رَجَعَتْ
إِلَى مَكَّةَ وَقَامَتْ خَطِيبَةً . وَمِمَّا قَالَتْهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، إِنَّ الْغَوْغَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَعَبِيدِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ ظُلْمًا وَنَقَمُوا مِنْهُ . وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا
حُجَّةً وَلَا عِذْرًا بَادَرُوا بِالْعُدْوَانِ ، فَسَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فِي
الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الَّذِي اعْتَدُوا
بِهِ عَلَيْهِ كَانَ ذَنْبًا ، لَخَلَّصَ مِنْهُ كَمَا يَخْلُصُ الذَّهَبُ مِنْ خَبَثِهِ ،
أَوْ الثَّوْبُ مِنْ دَرَنِهِ ، إِلَى آخِرِ مَا قَالَتْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَامِرٍ الْحَضْرَمِيُّ وَكَانَ عَامِلَ عَثْمَانَ عَلَى مَكَّةَ : هَذَا نَدَا أَوَّلِ
مُطَالِبِ بَدَمِ عَثْمَانَ . وَتَبِعَهُ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى ذَلِكَ ، وَشَهَرَتْ
الْحَرْبُ ، وَقَدْ حَضَرَتْ عَائِشَةُ الْوَقْعَةَ بِنَفْسِهَا . وَصَارَتْ
تُشَجِّعُ الرِّجَالَ عَلَى الثَّبَاتِ ، وَتَحْضِيهِمْ عَلَى الصَّبْرِ وَالْمُثَابَرَةِ ، بِمَا
أُوتِيَتْ مِنْ بِلَاغَةِ وَقْوَةِ حُجَّةٍ
وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَحْفَظَ أَهْلِ زَمَانِهَا لِلْحَدِيثِ

الشریف ، رَوَتْ عَنْهَا الرُّوَاةُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ . وَكَانَ أَحَدُ
الصَّحَابَةِ إِذَا رَوَى عَنْهَا يَقُولُ : حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ
الْبَرِيئَةِ الْمُبَرَّاتَةِ . وَكَانَ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ
وَيَقُولُونَ إِنَّهَا مِنْ أَفْقَهِ النَّاسِ وَأَحْسَنِهِمْ رَأْيًا . وَقَالَ أَحَدُ
الصَّحَابَةِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِفِقْهِ وَلَا بِطَبِّ وَلَا بِشَعْرِ
مِنْ عَائِشَةَ

❦ السيدة فاطمة النبوية ❦

هِيَ ابْنَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ ، وَقَدْ امْتَاَزَتْ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ عَصْرِهَا بِجَمَالِ طَلْعَتِهَا .
وَكَانَتْ أَكْثَرَ شَبَهًا بِحَدَّثَتِهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ . أَمَا كَرَّمَ
أَخْلَاقَهَا وَتَدَيَّنُّهَا وَوَرَعُهَا فَحَدَّثَتْ عَنْهَا وَلَا حَرَجَ . وَقَدْ حَضَرَتْ
مَعَ أُخْتِهَا سُكَيْنَةَ وَاقَعَةَ كَرْبَلَاءَ . وَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهَا أُخِذَتْ
مَعَ مَنْ أُخِذَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِحُضْرَةِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي
دِمَشْقِ الشَّامِ ، وَقَدْ أُرْسِلَتْ يَزِيدُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَمَعَهُنَّ
رَجُلٌ أَمِينٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ . فَقَالَتْ فَاطِمَةُ

لأختها سُكِينَةَ وكانت أصغر منها سِنًا : قد أحسنَ هذا
الرجل إلينا فهل لك أن تصليَ به بشيء ، فقالت : والله ما معنا
ما نصلي به إلا ما كان من هذا الحلي . قالت : فافعلي .
فأخرجت له سوارين ودُمْلُجَيْن وبعثت إليهما بهما ، فردَّهما
وقال : لو كان الذي صنَعته رغبةً منا في الدنيا لكان في هذا
كفاية ، ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكما من رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكانت رضى الله عنها فصيحة المنطق ، كريمة المعشر ،

أديبة تنثر الدر ، وتنطق بالحكم ، فمن قولها تنعى أباهما

نَعَى الْغُرَابَ فَقُلْتُ مَنْ تَنْعَاهُ وَيُنْحَاكَ يَا غُرَابُ

قال الإمام فقلت من قال الموفق للصواب

قلت الحسين فقال لى بمقال محزون أجاب

إن الحسين بكر بلا بين الأُسنة والحراب

أبكى الحسين بعبرة ترضى الإله مع الثواب

ثم استقل به الجناح فلم يطق ردَّ الجواب

فبكيت مما حلَّ بي بعد الرضى المستجاب

وتُوفيت سنة عَشْرٍ ومائة للهجرة ، ودفنت في المسجد
المعروف بها الآن بِخُطِّ الدرب الأحمر بالقاهرة

﴿ السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه ﴾

هي شقيقة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما
وأُمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكانت فصيحة المنطق ، جريئةً طَلقة اللسان ، مع اتِّقاد
الذهن وسُرعة الخاطر . وللنساء أسوة حسنة في حسن معشرها
وكرم أخلاقها ، وصِلَة رَحِمها . ولا غَرْوَ فهي حَفيدة الرسول
عليه السلام ، رافع لواء الدين ، وناشر آيات الفضائل بين العالمين
وقد حضرت وقعة كَرْبلاء المشهورة ، التي قُتل فيها
أخوها الحسين رضي الله عنه ، وهي القائلة :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم
بِعِترتي وبأهلي بعد فُرقتكم
منهم أسارى ومنهم خُضِبوا بِدَم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوء في ذوى رحمي

ثم سارت مع أهلها إلى الكوفة ، فأومأت إلى الناس
أن اسكتوا ثم قالت : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين ، أما بعد يا أهل الكوفة ، أتبكون ؟ فلا
سكنت العبرة ، ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم مثل التي
تقصت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً
بينكم ، ألا ساء ما تزرون . إى والله فابكوا كثيراً واضحكوا
قليلاً ، فقد ذهبتم بعاريها وشنارها . ويلكم يا أهل الكوفة
ألا ساء ما سوّلت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي
العذاب أنتم خالدون . أتدرون أيّ كبد الرسول صلى الله
عليه وسلم فرّيتم ، وأيّ دم له سفكتم ، وأيّ كريمة له أبرزتم
لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق
الأرض وتخر الجبال هدّاً . فذهّل الناس ووضعوا أيديهم
على أفواههم ، وأخذهم الدهش والحيرة . ولما استشهد

الحسين رضى الله عنه ، أُخِذَتْ زَيْنَبُ مَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ
الْبَيْتِ لِحُضْرَةِ يَزِيدَ فِي دِمَشْقِ الشَّامِ ، حَيْثُ قَدِمَ لَهُ الرَّأْسُ
الشَّرِيفُ . فَجَعَلَتْ فَاطِمَةُ وَسُكَيْنَةُ تَتَطَاوَلَانِ لَتَنْظُرَا إِلَى
الرَّأْسِ ، وَجَعَلَ يَزِيدُ يَتَطَاوَلُ لِيَسْتُرَهُ عَنْهُمَا . فَلَمَّا رَأَى صَاحَتَا ،
فَصَاحَ نِسَاءُ يَزِيدَ ، وَوَلَوْتَ جَمِيعُ الْحَاضِرَاتِ حَتَّى جَوَارَى
الْقَصْرِ . فَقَالَتْ فَاطِمَةُ وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ سُكَيْنَةَ : بَنَاتِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا يَا يَزِيدَ . فَقَالَ : يَا ابْنَةَ أَخِي أَنَا
لِهَذَا كُنْتُ كَارَهَا . فَصَارَتْ تُؤَنِّبُهُ وَتُحَاجُّهُ وَتَقْرَعُهُ وَتُسْمِعُهُ
مِنْ وَخْزِ الْكَلَامِ مَا اسْتَشَاطَ لَهُ غَضَبًا تَارَةً وَأَظْهَرَ الْحِلْمَ تَارَةً
أُخْرَى . ثُمَّ أَمَرَ بِتَجْهِيزِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ الْإِكْرَامِ
﴿ سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ﴾

كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءٍ عَصَرَهَا وَمِنْ أَبْرَعِينَ جَمَالًا ،
وَأَحْسَنَهُنَّ أَخْلَاقًا ، وَأَظْرَفَهُنَّ لِقَاءً ، وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
شَاعِرَةً تَحِبُّ الشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءَ ، وَتُقَرِّبُهُمْ وَتُجْزِلُ لَهُمُ الْعَطَايَا .
وَكَانَتْ سَرِيعَةَ الْخَاطِرِ ، حَاضِرَةَ الْبَدِيعَةِ ، مُتَوَقِّدَةَ الذَّهْنِ ،

تجلى المصباح الأبدى ، وتواصل من في حضرتها مناسلات
ثوية . وقد حكى أنها حضرت طفلاً فيه بنت عثمان بن
عمر رضي الله عنه . فقالت : أنا بنت الشهيد . فسكنت
سكينة حتى إذا أذن المؤذن وقال أشهد أن محمداً رسول الله
قلت لها سكينة : هذا أبي أم أبوك ؟ قالت بنت عثمان :
لا أفخرُ عليكم أبداً

وقد كانت رضي الله عنها على جانب عظيم من الصبر
والجلد وتحمل الآلام . فقد قيل إنها أصيبت بسلعة في أسفل
عينها ، ثم كبرت جداً وعظم الأمر ، فأحضرت طبيبها
وقالت له : ألا ترى ما وقعت فيه ؟ فقال : أتصبرين على الألم
حتى أعالجك ؟ فقالت نعم . فشق جلد وجهها حتى ظهرت
العروق ، وكان منها شيء تحت الحدة ، فرفع الحدة عنها حتى
جعلها ناحية ، ثم سلّ عروق السلعة من تحتها ، وأخرجها
ورّد العين إلى موضعها . كل ذلك وسكينة لا تتحرك ولا
تن ، حتى فرغ ، وبرئت وبقى أثر الجرح في مؤخر عينها .
وقد توفيت رحمها الله سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة

— السيدة نفيسة بنت الحسن —

(حفيدة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)

وُلدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة ،
ونشأت بالمدينة المنورة . وكانت رضى الله عنها من الصّلاح
والزُّهد على الحد الذى لا مزيد عليه . فيقال إنها حجت
ثلاثين حجة ، وكانت كثيرة البكاء ، تقية ، عابدة ، مُصَلِّية
ليلها صائمة نهارها مُسَبِّحة بُكْرَةً وَعَشِيًّا . وكانت تحفظ
القرآن وتُجيد تفسيره وتتلوه حقّ تلاوته . وقيل إن سبب
قُدومها إلى مصر أنها فى أثناء حجّتها الأخيرة توجهت مع
زوجها اسحق بن جعفر إلى بيت المقدس ، فزارت قبر الخليل
ابراهيم عليه السلام ، ثم جاءت معه إلى مصر فى رمضان سنة
ثلاث وتسعين ومائة . وقد تلقاها الرجال والنساء بالهوادج
من العريش . ونزلت أولاً عند كبير التجار بمصر ، وكان من
ذوى المعروف والبر . فأقامت عنده شهوراً يأتى إليها الناس
من سائر الآفاق ، يَتَقَبَّسُونَ من علمها وأخلاقها الكريمة ،

عليك، وقد بلغ منتهى الظلم والعسف، واشتدّ بالعباد الأمر،
وأخاف أن يقوموا عليه قومة رجل واحد، فإهلك ونهلك
نحن معه، وتنقرض الدولة. فراق لديه ما قالت، ثم قالت،
إن الحاكم سيضعّد في هذا الجبل غداً ولا يصحبه إلا صبي،
فأقيم رجلين تثق بهما يقتلانه والصبي، ثم نقيم ولده من بعده
وتكون أنت مدير الدولة، وأزيد في اقطاعك مائة ألف
دينار. ثم أعطنه ألف دينار للرجلين. فاختر اثنين من ثقاته
وأخبرهما بالقصة، فمضيا إلى الجبل، ولما انفرد الحاكم هجماً
عليه وقتلاه، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر. فلما
أيقن الناس بقتله، اجتمعوا إلى أخيه ست الملك، لعلمهم
بفضلها وثقتهم بعادها، ونزاهتها، وبعد نظرها. وشاوروها
فيمن يخلف أخاها، فأجلست على سرير الحكم علي بن
الحاكم وهو لا يزال صبيّاً، وبايع له الناس ولقبوه بالظاهر.
وأنشأت ست الملك تدير الدولة، وصية على ابن أخيها رافعة
لواء العدل بين الرعية منصفة للمظلومين، صاربة على أيدي
البغاة والطاغين. فأحسن الناس بالفرق العظيم بين حكمها

وحكم أخيها ، فأحبوها حباً جماً . ولكنها لم تُعمر طويلاً ،
فماتت بعد أربع سنين سنة ٤١٥ هـ فحزن عليها أهل مصر
ولم ينسوا فضلها العميم . أثابها الله جزاء إحسانها ، وأجزل
لها الأجر في دار النعيم

❖ شجرة الدر ❖

هي الملكة عصمة الدين ، زوجة السلطان الصالح
نجم الدين أبي الفتوح أيوب . كانت عاقلة مهذبة ، خبيرة
بالأمور وسياسة الناس . وكان يرجع إليها زوجها في الرأي
ويستشيرها في المهمات . ومن أمرها أنه لما مات الملك
الصالح بناحية المنصورة في قتال الإفريقية ، قامت بالأمر ،
وكنمت خبر موته ، واستدعت ابنه توران شاه من بلاد
القوقاز ، وسلمت إليه مقاليد الأمور . فتولى الملك بقلعة
دمشق في رمضان سنة سبع وأربعين وستمائة هجرية ، ثم
قدم إلى الصالحية ، وأعلن يومئذ موت الصالح . وكانت
شجرة الدر حتى ذلك اليوم قائمة بئدير شئون الدولة . توهم

الناس إن السلطان مريضٌ ولا سبيل لوصول أحدٍ إليه ، ثم
أساء السلطان توران شاه النصرُف في الأمور ، فقتله المماليك
البحرية بعد سبعين يوماً من توليته . وبموته انقضت الدولة
الأيوية من مصر . فأجمع المماليكُ البحريةُ على أن يقيموا
بعده شجرة الدر ملكة ، وحلفوا لها بين الطاعة والإخلاص
فقامت بتدبير الأمر خير قيام ، وأقامت نصاب العدل ،
ورتع الناس في بُحْبُوحَةِ السعادة والهناءة ، وأنفقت بدر
الأموال على المحتاجين والمُعوزين ، وضربت السُّكَّة باسمها
وشيّدت الجامع المدفونة به الآن بخط الخليفة بمصر ، بالقرب
من مشهد السيدة سُكينة بنت الحسين رضي الله عنهما .
ومن مآثرها أنها أول من سيرَ المحمل الذي يعتبرُ رائداً
للحُجَّاج . فبقى إلى أيامنا هذه تحنفلُ به الحكومةُ احتفالاً
رسمياً في كل عام : فيُسَلَّم زمامُ الجمل الحامل للمحمل إلى مبعوث
كبير من الحكومة المصرية يُسمَّى أمير الحج ، يحمل
الهدايا إلى بلاد الحجاز ، ويفصلُ في مشاكل الحجاج ،
ويؤمِّن لهم الطريقَ لأداء فريضة الحج



مؤكب الحبل الشريف

ومع ما كانت عليه شجرة الدر من الصفات العظيمة ،
والأخلاق الكريمة العالية ، لم يرض أهل الشام أن تكون
سلطانة عليهم ، لأن الشام في ذلك العهد كانت جزءاً من
السلطنة المصرية . فتزوجها الأمير عز الدين أيبك التركمانى
ونزلت له عن الملك بعد أن حكمت ثمانين يوماً

❖ اليصابات ملكة إنجلترا ❖

(Queen Elizabeth)

وُلِدَتْ في سنة ١٥٣٣ وتُوُفِّيَتْ في سنة ١٦٠٣
ميلادية ، وهى من أعظم من اعتلى عرش الإنجليز ، شاركت
أخاها فى التعلّم ، وكان يأخذ عن رجل من أوفّر الرجال علماً ،
وأوسعهم معرفة . وبرّعت فى اللغات حتى كانت تتكلم
بأشهرها فى زمانها وهى اللاتينية والفرنسية والإيطالية
والإسبانية والفلمنكية . وترجمت بنفسها إلى الإنجليزية مؤلفاً
إيطالياً . وكان يحلّوها درس التاريخ ، وتفضله على ما سواه
من العلوم ، لما فيه من الحوادث المهدّبة ، التى تُهمُّ الملوك



(الْيَصَابَاتِ مِلْكَةُ انْجَلْتِرَا)

العظام أمثالها معرفتها . أمّا عصرها فكان أزهرَ العصور
الإنجليزية : ظهر فيه من رجال السياسة والحرب والفلسفة
من جعلوا لإنجلترا مقاماً سامياً ، ووقعَ فيه من الحوادث
الجلى ما خلدَ ذكر اليصابات في التاريخ . ولقد كانت هذه
الملكة العظيمة على ما أُوتيت من واسع السلطان والنفوذ ،
تحتقر الإفراط في التعمُّ ، وتسلك مسلك الاقتصاد في بيتها ،
وتكره الملق . وقد كان فيها كثير من الصفات اللازمة لرقى
الشعب الإنجليزي إذ ذاك ، وهو يتأهب للوثوب والنهضة
إلى الأمام . على أن كثيراً من المؤرخين ينسبون جلالَ
عصرها وأبهة ملكها إلى وزراءها العظماء ، وقادة بلادها
الحكماء ، وهم بذلك لا يعمطون حقها من الفضل ، لأنها هي
التي كانت تختارهم وتصطفهم . ويرى التاريخ أن من ألدَّ
أعدائها في زمانها وشرَّ خصومها في غلواء ملكها ، ملك
إسبانيا : فقد كان يدفعه حقدُه عليها إلى مناوأتها ودمس
الدسائس لها . فقد أعدَّ العُدَد لمحاربتها فجهز مئات السفن
الحربية ، وسماها « أرمادا » ، وجمع من الرجال والذخيرة

ما يُرْهَب . فبلغ الإنجليز خبره ، فأوفدت له الياصباتُ قائداً
هُما اسمهُ (دِيرِيك) تَسَلَّلَ حتى دخل ميناء قادس بإسبانيا ،
وأحرق من ذلك الأسطول الضخم سُفنًا لا يقل محمولها عن
عشرة آلاف طن من قبل أن تبدأ الحرب ، فأصاب بذلك
كبدَ إسبانيا وهاج غيظها . فأجمعت أمرها ثانية ، وخرج
الأسطول سنة ١٥٨٨م وعدد بوارجه ثلاثون ومائة من أكبر
طراز القرن السادس عشر ، فلاقاها ضراغمُ الإنجليز بأسطول
أقلَّ عددًا وعددًا ، وتغلبوا عليها بفضل مهارة القيادة وبددوا
شملها ومزقوها كلَّ ممزَّق . فانفرد الإنجليز بالعظمة في البحار ،
وكان هذا الحادثُ من عصر الياصبات بدءً ما للأسطول
الإنجليز من المنعة والرَّهبة والسيِّطرة حتى وقتنا هذا . فلا
عَجَبَ إذا ذُكر اسمُها في تاريخ الإنجليز مقرونًا بآيات
الثناء والإعجاب

﴿ الْمَلِكَةُ فِكْتُورِيَا ﴾

(Queen Victoria)

عُرِفَت الْمَلِكَةُ فِكْتُورِيَا ملكةُ بريطانيا العظمى وإمبراطورة

الهند بالذكاء المفرط ، وأصالة الرأي ، وبُعْدِ النظر . وقد
كانت أيامُ حكمها عصرَ سعادة وبركة ويُمن على شعبها .
وكانت تُحب بلادها حبًّا جمًّا ، ودأبت في ترقيتها ورفع شأنها
حتى أدرك الشعبُ الإنجليزي في أيام دولتها منزلة عظيمة في
العلوم والمعارف

ارتقت الملكة فكتوريا أريكة الملك قبل أن تبلغ
العشرين من عمرها ، فرأت أنها مسئولة عن أكبر دولة في
العالم . فعمدت لطريق الحزم والسداد ، والنظر في شؤون
الدولة بنفسها ، غيرَ مُعتمِدة كلَّ الاعتماد على وزرائها ورجال
دولتها . ومما يؤثّرُ عنها أن كاتم أسرارها كان يعرضُ عليها
يوماً أوراقاً لتبدي فيها رأيها ، وتبت في شأنها . فوقع نظرها
على حكم مجلس عسكري يقضى بإعدام جندي رمياً بالرصاص .
فسألت جلالتهَا عن شهمة هذا الجندي ، فأجابها كاتم أسرارها
بأن هذا الجندي قد فرَّ هارباً من الجيش ثلاث مرّات ،
وقد حُكِمَ عليه من قبلُ بعقوبات مختلفة لم تقوّم أخلاقه .
فقالت الملكة : ألا يوجد في ملفّه ما يشفعُ له ؟ فاجبت



(فِكْتُورِيَا مَلِكَةُ إِنْجِلْتِرَا وَإِمْبِرَاطُورَةُ الْهِنْدِ)

بأنه خاطر بحياته مرة دفاعاً عن بلاده . فقالت : سأجعل هذا
له شفيعاً ، نبيّه أنى عفوتُ عنه . ثم تنازلت يراعها ووقعت
بيدها الكريمة بالعفو عنه ، فكان هذا سبباً في أن سلك ذلك
الرجل الطريقَ السَّوَّى ، وقوم ما اعوجَّ من طباعه وأخلاقه ،
فاستقامت أموره ، ولَبِثَ مثالَ الطاعة والجدِّ والنشاط فيما
بقي له من أيام الجندية .

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

﴿ جَرِيس دَارْلِينْجْ ﴾

(Grace Darling)

على مسافة قريبة من شمال شرقى إنجلترا ، مجموعة من
الجزر مُجْدِبَةٌ قاحِلَةٌ يبلغ عددها نحو خمس وعشرين جزيرة .
قد اختلفت مساحتها ، وتنوعت أشكالها ، وهى خالية خالية
لا يسكنها إلا طير الماء والوحش . ولكن واحدة من
كبريات هذه الجزر قد خلد التاريخ ذكرها ، لأنها وطن



جريس دارلنج

ووالدُها

في قارب النجاة

فتاة انجليزية تدعى « جريس دارلنج » لا يُذكر اسمها بين قومها الا بالإجلال والإعظام ، لعمل شريف أتمته ينم على ما انطوت عليه جوانحها من الشجاعة وجماع مكارم الأخلاق . عاشت جريس دارلنج كل حياتها في هذه الجزيرة الصخرية ، منقطعة عن العالم وضوضائه مُنزوية مع والديها في كوخ حقير ، يتعهدون بجانبه منارة تهدي الملاحين . منارة تنفذ أشعتها ليلا في كبد ظلام البحار ، فتبعث يبارق أمل يذهب اليأس وتسرى به الهموم . ألفت دارلنج عيشتها على هدى الشعب الصخرية ، تهدي الضال وتحذر الساري أن يرتطم ، وتشير بالنور أن ابعدوا أيها الملاحون عن هدى الصخور . ألفت هذه الحياة محبة في الإنسانية ، فكأنما هذا الوطن الموحش كناس الأنس ، ومقام السعادة ، لا تريد به بدلا ، ولا ترغب عنه تحويلا ، وكأننا بها نتمثلها وهي جالسة في النهار الصخومع أمها على باب الكوخ تتشمسان وتحكيان وتحكيان ، بينما أبوها يهيء المصباح ، ويرقب السفن بمنظاره ، وكأننا بها نتمثلها مع والديها في ليل شديد القرتر تجر فيه الرياح ، وتعصف الزوابع وتهطل الأمطار الغزار ، يصطلون جميعا

وَيَتَدَفَّأُونَ وَيَسْمُرُونَ : يَقْصُونَ قَصَصَ مَا عَايَنُوا وَعَانَوْا مِنْ
جُنُوحِ الْمَرَكَبِ وَارْتِطَامِ السَّفَنِ ، وَمَا اعْتَادُوهُ مِنْ مُشَاهِدَةِ
الْأَهْوَالِ وَالْعَجَائِبِ . أَيْ « دَارْلَنْج » اللَّهُ مَا أَشْجَعَكَ وَمَا
أَكْبَرَ جَنَانَكَ إِذَا ذُكِرَتْ بَطَلَاتُ النِّسَاءِ !

كانت « دارلنج » معتدلة القوام ، ذات عَيْنَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ
لَا مَعْتِنِ وَشَعْرٍ فَاحِمٍ ، فِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهَا عِنْدَ
مَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ . كَثِيرَةُ الْحَيَاءِ جَمَّةُ الْحِجْلِ ، يُقْرَأُ فِي
عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوِينَ مَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَطْفٍ وَحَنَانٍ

فِي لَيْلَةِ لَيْلَاءٍ مِنْ شَهْرِ سِبْتِمْبَرِ سَنَةِ ١٨٣٨ مِيلَادِيَّةٍ
مَرَّتْ بِاخْرَةِ إِزَاءِ شَاطِئِ انْجِلْمَتْرَا يَبْنِيهِ وَبَيْنَ تِلْكَ الْجُزُرِ ، وَكَانَ
الضُّبَابُ ضَارِبًا أَطْنَابَهُ ، وَالظَّلَامُ مُسْبِلًا سُدُولَهُ ، وَالرِّيحُ
تُصَفِّرُ مُؤَذِّنَةً بِالْعَصْفِ وَالْقَصْفِ ، وَمَا لَبِثَ الْمَاءُ أَنْ هَاجَ
وَمَاجَ ، وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ كَلْجِبَالٍ أَوْ

كَرِيْشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةً

لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ

وَمَا عَتَمَ الْمَرْكَبُ أَنْ انْصَدَعَ ، فَانْصَدَعَتِ الْقُلُوبُ ، وَلَمْ

يُفِيدُ مَا بُذِلَ مِنَ الْجُهْدِ لِاتِّقَاذِهِ ، فَعَثَرَ بِالرَّكَّابِ الْجَدُّ وَحُمُ
القَضَاءِ ، وَطَوَّحَتْ بِهِمُ الرِّيحُ ، فَارْتَطَمَتِ السَّفِينَةُ فِي بَعْضِ
الشُّعْبِ فَانْكَسَرَتْ ، وَانْفَجَرَتْ مَرَا جَاهَا ، وَهَلَكَ الرِّبَازُ وَمَنْ
فِيهَا إِلَّا تَلِيلًا مِمَّنْ هَدَى اللَّهُ ، تَسَلَّقُوا الْأُلُوحَ الطَّافِيَةَ ، وَرَكَبُوا
الشُّظَايَا الْعَامَّةَ ، كَدُّودَ عَلَى عَوْدٍ . وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا عَلَى هَذِهِ
الْحَالِ إِلَّا قَلِيلًا ، فَقَدْ نَهَكَهُمُ الْكِفَاحُ فَكُلَّ السَّاعِدُ وَوَهَنَ
الْجُلْدُ وَبَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلُقُومَ ، حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ وَانْبِثَاقِ
الصَّبَاحِ . فَخَرَجَتْ « دَارْلَنْج » مِنْ حَجَرَتِهَا كَعَادَتِهَا تُمَتِّعُ
الطَّرْفَ بِرُؤْيَا الْبَحْرِ الْخُضَمِّ ، وَتَقْرَأُ آيَاتِ اللَّهِ فِي كِتَابِ
الطَّبِيعَةِ . وَبَيْنَمَا هِيَ سَابِحَةٌ فِي تَأْمَلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَتَبْدِيلِهِ الْغَيْمِ
صَحْوًا ، وَالْخَوْفَ أَمْنًا إِذْ لَاحَتْ مِنْهَا التَّفَاتَةُ فَإِذَا أَشْبَاحُ
بِلَا أَرْوَاحٍ ، تَنْقَازُفُهَا الْأَمْوَاجُ وَتَتَخَطَّفُهَا اللَّجْجُ . فَتَعْلُو بِهَا
وَتَهْوِي . فَصَرَخَتْ يَا لِلنَّجَاةِ ! وَأَسْرَعَتْ إِلَى وَالِدِهَا تَسْتَحِثُّهُ
وَتَسْتَنْجِدُهُ . فَقَالَ : وَيْلَاهُ يَا بُنَيَّتِي إِنِّي شَيْخٌ فَإِنْ قَدْ وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَضَعُفَتْ قَوَايَ ، وَأَنْتِ فَتَاةٌ
غَضَّةٌ لَا تَقْوِينَ عَلَى مَغَالَبَةِ هَذِهِ الْأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ ، وَقَارِبُنَا

صغير حقير . . . فقاطعنه وأقسمت أن تُنقِذهم أو تموت . ثم
نصرعت إليه وتوسلت . فَشَعْرًا عن ساعد الجِدَّة ، وعمداً إلى
القارب ، وتناول كلُّ مُجْدافاً ، وخاصاً عُبَابِ الماء ، حتى كانا
من الهلاك قاب قوسين أو أدنى . فلما وصلا إلى تلك
الأشباح وهي تَلْفِظُ أواخر الأَنْفَاسِ أنقذا كلَّ مَنْ بَقِيَ فِيهِ
رَمَقٌ من الغرق ، وتغلبا على الصَّعَابِ والعوائق بصبر نادر ،
وثبات عجيب ، حتى تمَّ لهما ما أرادا من عمل البر ، وإسداء
المعروف وإغاثة الملهوف . فرجعا بهؤلاء المنكوبين إلى
الكوخ ، وأخذوا يتعهدونهم بأنواع البر والعناية ، حتى صَحَا
الجو ومثلوا للعافية . فرجعوا إلى أوطانهم يقصُّون خبرهم
العُجَابِ ، ويتحدثون بشجاعة تلك الفئاة النادرة ، وكريم
شماثلها ، وشريف عواطفها . فطار صيتُ دارلنج في الخافقين
ورددته البرق في الآفاق ، وأطنبت الجرائد في الشاء ،
وانهالت عليها الرسائل من كل صَوْب من عظماء رجال الدول
الأوربية ، وبعثوا إليها الهدايا والنحف والأموال . ونحن
بمصر الآن نروى حكايتها ونُعْجَبُ بِشهامتها وبَسَالَتِهَا

لورا سيكورد

(Laura Secourd)

بطلة في تاريخ كندا

التاريخ مفعّمٌ بأسماء بطلات النساء ، اللاتي كان من
قوة جنانهن أن شهيدن المواقع ، ونزلن الوغى . وراكبن
المخاطر ، ، سواءاً كان بامتشاق الحُسام بأنفسهن ، أم بإعانة
الجرحى وإسعاف المرضى . على أن اسم المرأة كاسم الرجل
جديرٌ بالتمجيد والتخليد ، إذ كان لها من المآثر والفضل
ما يرفعها إلى هذه المنزلة الكريمة ، كما هو الأمر في السيدة
« لورا سيكورد » بطلة هذه النبذة التاريخية

كانت سيكورد زوجَ أحد الكنديين المخلصين
لوطنهم ، العاملين في الذود عن بلادهم . قد انتظم في سلك
الجندية أثناء إغارة الأمريكين على كندا سنة ١٨١٢ م لما
أقبلوا عليها بخيولهم ورجلهم ، واجتاحوا الأراضى ، وملكوا
القرى والمدن ، وهددوا البلاد ، أو وقف أبطال كندا يدافعون



لوراسيك ورد تحمل زوجها الجريح إلى يديها

ويناضلون، وجل أمانهم أن يمنعوا العدو من عبور نهر نياغرا،
 بفرح زوج سيكورد في بعض الملاحم ، وخر في ساحة
 القتال مغنى عليه بين الأشلاء والقتلى ، حتى جاءت سيكورد
 واجفة مروعة مذعورة تبحث عنه فيما بينهم . فغثرت به وقد
 أخذ منها الأسى كل مأخذ ، وشملها اليأس . ولكن
 ما لبثت أن ملكت شعورها رؤيذا فحملته فانتبذت به
 دارها القصية . وأخذت تضمد جراحه ، وتغنى بأمره أشهرا
 طوالا رائدتها المحبة والإخلاص ، والأمانة والوفاء . فلم تنجح
 إلا في تخفيف بعض آلامه لما كان قد لحقه من الوهن
 والضعف العظيم . وقد زاد حالها تعسا أن منزلها وماحوله من
 الضياع والجراح وقع في قبضة العدو . وضرب عليه نطاقا
 من الجواسيس إلى أميال بعيدة المدى

أما موقف العدو فكان على مناعته وقوته يهدده
 ضابط كندى إرلندي يدعى « فزجيون » قد ربض
 على مقربة منه ، وملاك أعنة الطرقات ، وسد عليه المنافذ
 الرئيسية . فأرسل العدو إليه فصيلة مكونة من ستمائة من

رجالہ لِتُزَحْزِحَہُ عن مكانہ ولكنها لم تنجح

وقد صادف في اليوم الثاني والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨١٣ أن اثنين من عظام الضباط الأمريكيين كانا على مقربة من منزل سيكورد ، يتباحثان ويُعملان الفكر ، ويدبران الخُطَطَ لاغتيال الضابط الكندي الأزلندي الذي قطع عليهم الطريق . وما كانا يحسبان أن رجلاً قعدةً جُثمةً وامرأةً مهزولة ضعيفة مثل سيكورد يسترقان السمع ويعيان كلَّ ما يقال . فما وُضِعَت الخطة الحربية حتى ثارت في نفس سيكورد الحمية الوطنية ، وصممت على أن تبلغ « فترجييون » الخطة أو تموت

فلما رحل الضابطان ، خرجت عارية الرأس ، حافية القدم ، لا يظهرُ عليها شيء من علامات التأهب لسفر طويل ، فعمدت إلى بقرتها فلما قربت منها استنفرتها . فشردت خائفة مذعورة فخرجت وراءها تقتفي أثرها مُظهرة الفرع من نفاها ، ولكنها ما كانت في الحقيقة إلا منفرة لها . وما زالت كذلك تقطع مرحلة بعد مرحلة ، والحرس لا يرون إلا منظرًا طبيعيًا لا شبهة فيه : بقرة نافرة وامرأة

هائلة وراءها . فلما أمنت العيون والرقباء ، وقد أضناها
 التعب ، تركت بقرتها وواصلت السير وقد دُميت قدمها ،
 ومرت الأدغال ملابسها وهي تطوى الأرض ولا تلوى
 على شيء : تُصعد على التلال ، وتعبُر الجداول ، إلى غسق
 الليل ، وقد خيم الظلام وأسبل سدله وأحاطت بها المخاوف .
 ولكنها تابرت وما وُنت حتى أدركت غايتها عند شروق
 الشمس . فمُثلت أمام الضابط « فترجيون » وقصّت عليه
 القصص وخرّت مغشياً عليها . فأقبل عليها هو ومن معه
 يتعهدونها حتى ثابتت إلى رشدّها ، ثم أجمعوا أمرهم ودبروا
 خطّهم وسارعوا إلى الهجوم ، وفاجأوا العدو على غرة ،
 فسقط في يده . وهكذا دُون اسم سيكورد في صفحات
 تاريخ هذه الواقعة المجيدة إلى ما شاء الله

ولما زار جلالة ملك الانجليز أدوارد السابع كندا سنة
 ١٨٦٠ م وكان إذ ذاك وليّ العهد ، كانت سيكورد لا تزال
 على قيد الحياة ، فزارها وحادثها ووصلها بصلات سنية
 أطلقت لسانها بالشكر والدعاء له



لوراسيكورد تسنقيل في يته الملك ادوارد السابع
وهو ولي العهد

✧ لينا ✧

(Lena)

(فتاة شجيرة)

كانت في إحدى قرى جبال الألب الإيطالية، الواقعة
على الحدود الشمالية الغربية ، فتاة قد كفلتها أمها بعد أن
مات أبوها دفاعاً عن وطنه ، أيام كان نابليون الأكبر
يُحشدُ الجيوشَ الجرارة ويسفك الدماءِ مدراراً ، طمعاً في
الاستيلاء على إيطاليا . وكانت « لينا » فتاتنا هذه لا تفقأ
تذكرُ والدها الفقيد ، وقلبها ينفطر من أجله أسى وأسفاً . ولم
يكن لها سُلوانٌ سوى أنه مات شهيد الوطن ، شهيد الحرية .
فكان إذا قام بها هذا الخاطرُ وتمكّن منها . تمنّت لو كانت
رجلاً يموتُ هذه الميته الطاهرة الشريفة . ولم يكن هذا شأن
« لينا » وحدها ، بل كان سُكانُ إيطاليا جميعاً على هذا الشعور
وتلك الحمية ، التي أذكاهما في نفوسهم خوفهم على وطنهم
من ذلك الفاتح الهاجم . وقد كان الإيطاليون في الملاحم

التي جرت حينئذ يهيمون على قلال الجبال خطباً يقوم بجانبه
بعض الجنود ، حتى إذا لمحوا عن بُعد جيوش الأعداء أشعلوه
فيكون إيداناً بالخطر الدائم والعدو المغير . فيأخذ كل غذته
ويتحضر للقاء . ووافق في يوم من أيام الأعياد أن استبطأ
القوم عدوهم ، ولها بعض الحرس عن واجبهم ، واحتشد
الناس في قرأهم ومدائنهم . فأدرك العدو لهم وانصرافهم
عن واجبهم ، فأخذ يتسلق الجبال من جهات مُلأمة ، ويتخير
الطرق لساعة الهجوم الفاصلة ، والمعمعة الحاسمة . وبينما هو
كذلك كانت « لنا » تستريض بجوار بعض تلك الجبال ،
نخطر لها أن تتسلق أحدها تسرية للهيم عن نفسها ، وبعثاً
للنشاط والسرور . فلما أدركت القمة إذا بها عند الحطب ولا
رقيب له ، فنظرت يمنة ويسرة فإذا بعض الجنود من العدو
في تدبير وتفكير ، بينما قومها في لهو وتغريض . فأيقنت أن
الخطب حال والبلاء نازل إن لم تسارع إلى إشعال الحطب .
فأوقدته وكان منقوعاً في زيت النفط ، فسرت فيه النار كالح
البصر ، واندلع لهبها . فرأته جنود العدو فجرت تستطلع الخبر



« لِينَا » فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ نَحْوِ الْوَطَنِ

فَلَمَحَتْ الْفَتَاةُ هَارَةً . فَأُطْلِقَ بَعْضُهُمُ النَّارَ عَلَيْهَا فَأَصَابَهَا فِي
ذِرَاعِهَا وَلَكِنَّهَا مِنْ دُغْرِهَا وَوَجَلِّهَا لَمْ تُحْسِ بِالْجَرْحِ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ بَلَغَتْ كَوْخَهَا ، حَيْثُ غَلَبَهَا الضَّعْفُ تَخَرَّتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا .
فَجَعَلَتْ أُمُّهَا تَعْتَنِي بِهَا حَتَّى أَفَاقَتْ وَقَصَّتْ عَلَيْهَا قِصَصَهَا .
فَسُرَّتْ بِشَجَاعَةِ ابْنَتِهَا وَنَجْدَتِهَا وَصِدْقِ وَطَنِيَّتِهَا . وَأَمَّا الْحَطَبُ
فَعَظُمَ اضْطِرَامُهُ وَانْعَقَدَ مَعَ السَّحْبِ دُخَانُهُ ، فَلَقَتْ أَنْظَارَ
الْقَوْمِ وَهُمْ فِي غَيْبِهِمْ وَنَشْوَةِ طَرَبِهِمْ فَهَبُوا مَذْعُورِينَ خَشِيَةً
أَنْ يُصِيبَ الْبِلَادَ مَكْرُوهٌ فَأَقْبَلُوا عَلَى الْوَاجِبِ ، وَامْتَشَقُوا
الْحُسَامَ ، وَتَأَبَّطُوا الْبِنَادِقَ ، وَأَنْذَرُوا الْعَدُوَّ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ .
فَلَمَّا رَأَى صِدْقَ عَزِيمَتِهِمْ ، وَحُسْنَ اسْتِعْدَادِهِمْ ، وَشِدَّةَ بَأْسِهِمْ ،
أَيَقَنَ بِالْفَشْلِ وَتَنَحَّى عَنْ مَرَاكِزِهِ الَّتِي كَانَ قَدْ احْتَلَاهَا وَرَجَعَ
أَذْرَاجَهُ . وَكَانَ « لَلِينَا » هَذَا الْفَخَارُ الْعَظِيمُ وَالشَّرَفُ السَّامِيُّ .
فَكَانَ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ ، هَبَطَتْ فَأَنْقَذَتْ قَوْمَهَا مِنْ كَارِثَةٍ
كَادَتْ تُودِي بِهِمْ ، وَبَلِيَّةٍ أَوْشَكْتَ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِمْ . فَهَكَذَا
الصَّادِقَاتُ الْخُلَصَاتُ وَلِثَلْ هَذَا فَلْتَعْمَلِ الْعَامِلَاتُ . إِنْ فِي ذَلِكَ
لَايَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ

فلورنس نايتنجيل

(Florence Nightingale)

هو اسم سيدة نبيلة ، أصبح الآن رمزاً للإنسانية ،
وعنواناً على مبلغ ما تصلُ إليه ربَّاتُ الحِجال من العطف
والحنان ، والشهامة والكرامة . ظهر اسم فلورنس نايتنجيل
ورنَّ صده وتضوَّع نشره في أيام حرب القرم بين الروس
والإنجليز : إذ وقف الفريقان كفرسَى رِهان ، يبدل كلُّ
مُهجته لإرغام خصمه لإحراز النصر والسيطرة على العالم .
فسالت الدماء أنهاراً ، وزهقت الأرواح ، وتمزقت الأجساد
فكنت إذا خضت ساحة الوغى جزعت ، وندبت رجلاً
تين ، وأبطلاً تدمى ، وأسوداً تتجرَّع سكرات الموت في
الليالي الليلية ، منبذين بالعراء . أى فلورنس ملاك الرحمة ،
أنت فيما بين هؤلاء تجوسين خلاصهم ، وتخطئين صفوفهم ،
وتخدين عليهم : تجسّين النبض ، وتضمدين الجراح ، وتخفين



(فلورنس نایتنجیل)

الأتراح . فَلَله قَلْبُكَ مَا أَقْوَاه ، وَلله جَنَانُكَ مَا أَسْمَاهُ ، جَمَعْتَ
حَوْلَكَ أَهِيَةً مِنْ شَرِيفَاتِ الْأَنْفُسِ وَالْغَايَاتِ ، وَكَرِيمَاتِ
الشَّمَائِلِ وَالْمَقَاصِدِ ، فَكُنْ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ ، ثُمَّ زِدْهُ حَتَّى بَلَغَ
مِائَةً وَخَمْسِينَ . أَخَذَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ رِعَايَةَ الْجُرْحَى وَالْمَرْضَى
الَّذِينَ أَفْظَتَهُمْ رَحَى الْحَرْبِ ، فَأَنْعَمَ بِهِ مِنْ وَاجِبٍ وَأَعْظَمَ
بِهَا مِنْ مُرُوءَةٍ ! كُنْ يَطْفُنْ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ تَحْمِلُ الْوَاحِدَةَ
قَنَدِيلَهَا ، حَتَّى إِذَا عَثَرَتْ عَلَى مَنْ هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَعُونَةِ
وَالْعَطْفِ تَعَهَّدَتْهُ وَأَسْعَفَتْهُ حَتَّى يُفِيقَ وَيَثُوبَ إِلَى رُشْدِهِ ،
ثُمَّ يُحْمَلُ إِلَى مَسْتَشْفَى جَمَعَ أَسْبَابَ الرَّاحَةِ وَأَدْوَاتِ الْإِسْعَافِ
وَالْمَعُونَةِ ، لَا يَبْرَحُهُ حَتَّى يُبِيلَ وَيَلْبَسَ ثَوْبَ الْعَافِيَةِ ، هَذَا هُوَ
بَعْضُ مَا أَتَتْهُ فَلُورَانِسُ مِنْ جَلَائِلِ الْأَعْمَالِ . ابْتَدَعَتْ هَذَا
النَّوْعَ مِنَ الْإِسْعَافِ وَالْعَنَايَةِ بِالْجُرْحَى ، فَتَنَاوَلَهُ الْخَلْفُ مِنْ
بَعْدِهَا وَنَظَّمُوهُ ، وَوَصَلُوا بِهِ إِلَى مَا يُسَمَّى الْآنَ « بِجَمْعِيَةِ
الصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ » وَيَعْرِفُ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ بِاسْمِ « الْهَلَالِ
الْأَحْمَرِ » وَلَا يَجْهَلُ أَحَدٌ مَقْدَارَ هَذَا الْعَمَلِ وَمَا لَهُ مِنْ
الْأَيَادِي الْبَيْضَاءِ عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ : فَقَدْ نَشَرَ لَوَاءَ الْبِرِّ

والإحسان في أنحاء العالم ، نخضع له أقسى القساة من الغزاة ،
وَحَنَى له الرُّأْسَ إِجْلَالاً وإِكْبَاراً ، هذا النظام الجليل هو أثر
من آثار سيدة ، وفكرة من بنات أفكارها ، وأمل من آمال
فؤادها . ولدت فلورانس نايتنجيل في مدينة فلورنسة سنة
١٨٢٠ م . فاما نشأت وترعرعت تعلمت فن التمريض ، حتى
إذا أتمت دراسته أسست ملجأً في شارع هارلي بلندن ،
وهو شارع النطاسيين من الأطباء إلى وقتنا هذا . وكانت
تَقْضِي أوقاتها بهذا الملجأ ، تخفف الآلام بما فطرت عليه من
الحنو وإنكار الذات . حتى إذا شهِرت حربُ القِرْمِ هرَعَت
إليها ، ودعت الناس للاكتتاب لعملها المبرور ، وحضت
النساء على مدِّ يد المعونة . فجمعت أكثر من مليون فرنك ،
والتَفَّ حَوْلَهَا من السيدات جمعٌ غفير ممن يستعذبن الألم في
سبيل تخفيف الألم . وبعد الحرب بقي كثير مما جمع من المال ،
فوقفته على توسيع نطاق مستشفى سان توماس بلندن . وهو
من أشهر المعاهد الطبية المعروفة هناك الآن . وأخذت على

نفسها القيام بتدريس فن التمريض به ، ومن ذلك نشأت
فكرة تدريب السيدات على هذا الفن ، ثم شاعت في جميع
أنحاء العالم الراقى ، فاحتذاها ونسج على منوالها . وأنعم عليها
بمبلغ خمسين ألف جنيه فخصصته لتأسيس « دار نايتنجيل
للمرضات » . ومنحها ملوك أوروبا ألقاب الشرف « والاولوسمة »
اعترافاً بفضلها وإقراراً بحميلها على النوع الإنساني

وإنما المرء حديثٌ بعده

فكن حديثاً حسناً لمن وعى

